

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تلمسان

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

تخصص: حضارة عربية إسلامية

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر

الموسومة بـ:

أثر الحضارة العربية الإسلامية في الأدب الأوروبي
"ألف ليلة وليلة" نموذجاً

تحت إشراف:

أ.د. عبد العالي بشير

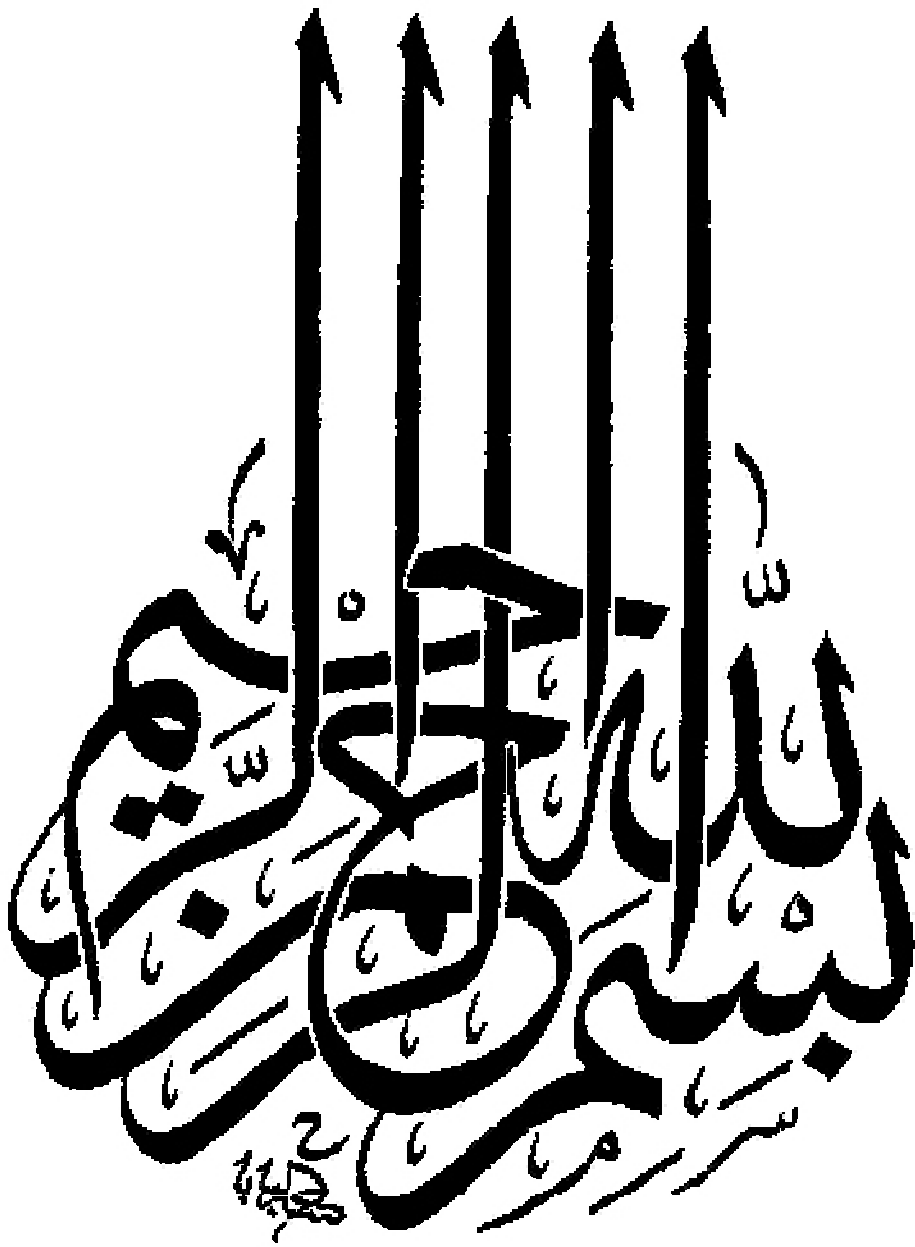
من إعداد:

عصماني نورية

مجاهدي حكيمة

السنة الجامعية

1434هـ - 1435هـ / 2013م - 2014م





أهدي ثمرة هذا العمل

إلى من قال فيهما الرحمن: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلُهُ فِي

عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرُ﴾ سورة لقمان، الآية 14.

إلى أمرق وأحن إنسانة على الكون، إلى أمي الغالية "قرمودي ستي" أطال الله في عمرها

إلى من رباني ومرعاني وعلمني، إلى من أنار قلبي بزينة الصدق والأخلاق، إلى من سافر إلى غير مرجعة،

إلى مروح أبي الطاهرة أسكنه الله فسيح جنانه.

إلى من تركهم لي والدي سندا أثناء غيابه: إخوتي وأخواتي (بن ساعد، مربعة، سكيينة، فطيمة،

عبد القادر، محمد، جميلة، رضوان، عبد الجليل، عبد الرحيم، خديجة)

إلى نروجة أبي حفظها الله "صليحة"

إلى أروع نعمة من رزقي إياها الله بعد الإسلام، إلى فلذات كبدي (يونس، محمد الأمين، لحسن)

إلى أبناء إخوتي وأبناء أخواتي

إلى من شاركتني الدراسة الجامعية ومراحل هذا العمل، إلى نورية وعائلتها الكريمة

إلى الأستاذ الدكتور عبد العالي بشير والأستاذ المحضر سنوسي والأستاذ الدكتور محمد مرتاض

إلى كل طلبة تخصص حضارة عربية إسلامية وتخصص دراسات مقارنة دفعة 2013 - 2014م

حكيمة مجاهدي





بسم الله الرحمن الرحيم

إلى منارة العلم والإمام المصطفى إلى سيد الخلق إلى رسولنا الكريم سيدنا محمد ﷺ

إلى من علمتني النجاح والصبر، إلى من أفتقدها في مواجهة الصعاب ولم تهلها الدنيا لأمر توي من حنانها

"والدتي" تغمدها الله برحمته

إلى سبب وجودي في الحياة "والدي الحبيب" له كل التقدير والاحترام

إلى من حبهم يجري في عروقي، إلى من أحبهم جبالاً لو مرّ على أرض قاحلة لانفجرت منها ينابيع الحبة، إخوتي:

عبد الغني، عبد الرزاق، فتيحة، زهريرة، آمال، محمد، سميرة

إلى مباحين حياتي أبناء إخوتي وهم: فاطمة، فادية، مريمسة، منال، محمد، إسلام، خلود، عبد الإله، نهال، محمد ندير، أنس.

إلى من أنقاسم معهم حياتي هيبية وسليمة

إلى من ساندوني وتنازلوا عن حقوقهم، إلى النفوس الصافية الطيب مرضا كمال بوحامد وعبد الإله بوحامد وزوجته يسمينة.

إلى من سرنا سوياً ونحن نشق الطريق معاً نحو النجاح، إلى من تكاتفنا يداً بيد ونحن نقطف زهرة تعلمنا إلى صديقاتي حكيمة،

نورية عطى الله، عماني نورية، حفيظة وكريمة، فاطمة الزهراء، نورية جمعي

إلى من عرفت كيف أجدهم وعلموني أن لا أضيعهم، فاطنة، وسام، مريم، أسماء، إلى أخي في الله وابن عمي

"الواسيني" الذي لم يتوانى في مساعدتي، إلى كل من نسيهم قلبي ولم ينسأهم قلبي،

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة تخرجني الثاني

نورية عصماني





يارب

لا ترعني أصاب بالغرور إذا نجحت ولا أصاب باليأس إذا فشلت
بل فكرني وإنما بأن الفشل هو التجارب التي تسبق النجاح

يارب

إذا أعطيتني مالا فلا تأخر سعاوتي
وإذا أعطيتني قوة فلا تأخر عقلي
وإذا أعطيتني جاها فلا تأخر تواضعي
وإذا أعطيتني تواضعا فلا تأخر عزتي
وإذا أعطيتني قرة فلا تأخر عفوي

يارب

إذا نسيتك لا تنساني

آمين



شكر وعرفان

الحمد لله الذي أنامر لنا

درب العلم والمعرفة وأعاننا على أداء هذا الواجب ووفقنا في إنجاز هذا العمل
توجه بجزيل الشكر والامتنان إلى من ساعدنا وثرع فينا بذور العلم أساتذتنا
الكرام بكلية الآداب قسم اللغة والأدب العربي، وخاصة أستاذنا المشرف
"عبد العالي بشير" وكذلك الأستاذ سنوسي لخضر على توجيهاتهما القيمة
وآرائهما السديدة التي أفادتنا، دون أن ننسى الأستاذ: محمد بن أحمد
الذي كان له فضلا كثيرا علينا - محمد مرتاض وسفير بدمرية
وإلى كل عمال مكتبة الآداب وكلية التاريخ
وإلى كل من ساهم من قريب أو من بعيد
في إنجاز هذه المذكرة، ولو

بكلمة دعاء

مِنْهُ



مقدمة:

الحضارة العربية الإسلامية حضارة أضاءت العالم في العصور الوسطى التي كان يسودها الجهل والظلمات، وقد امتدت من الأندلس غربا إلى الصين شرقاً.

فمنذ العقد الأخير من القرن الأول الهجري، بدأ شعاع الحضارة الإسلامية يصل إلى أوروبا عن طريق الأندلس ثم صقلية وكذلك عن طريق الحروب الصليبية، فكانت النتيجة تأثير ذلك على الغرب في شتى المجالات، ونخص بالذكر تأثيرها في مجال الأدب.

إن كثيرا من ظواهر الآداب العالمية قد خضعت لتأثيرات أجدادنا الأوائل، وما تركوه من تراث ضخم ومن ثم يمكن القول أن إبداعات الإنسان الأصلية على مر الأزمنة ولدت جراء الاتصال والتأثر بالآخر، فمن غير المعقول أن تنتج اعمال من الفراغ.

إن كل عمل أدبي يوحى بإبداعات جديدة أو يكمل أخرى، فلم يخل أي تاريخ أدبي يؤرخ لأدب أو لأديب معين، من الحديث عن قضية التأثير سواء كانت روافدها داخلية في نطاق الأدب ذاته، أو كانت روافد أجنبية فلا يمكن لأي أدب مهما كان ما يكتسبه من صفة جمالية إلا أن يقع تحت تأثير آداب أخرى.

ومن ثم فإن دراسة هذه الظاهرة تتوقف عند رصد نتيجة التأثير في بناء العمل الأدبي، وماذا فعل الأديب لهذا الرافد الذي استقاه من غيره، وكيف وظفه في نتاجه الأدبي، وهذا ما نحن بصدد تبيانه من خلال إجراء دراسة حول أديبن أحدهما يمثل الثقافة العربية، آخذين في ذلك عملا أدبيا ضم في ثناياه تراثا عربيا خالصا مستمدا من واقع الحياة المعيشية وهو من أبرز ما احتوته الآداب العالمية المتمثل في حكايات شهرزاد الموجودة في ثنايا "ألف ليلة وليلة"، أما الأدب الثاني فهو الأدب الأوروبي متمثلا في قصص فرلتير الفرنسي وقصص غوته الألماني.

إن اختيارنا للموضوع كان نتيجة إدراكنا بأن الكثير من المسلمين اليوم يجهلون تاريخهم ومجدهم الماضي، ولا يدركون كيف كان أسلافنا قدوة وقادة للعالم ثقافيا وعلميا. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، إن حكايات "ألف ليلة وليلة" حققت رواجاً كبيراً عبر العالم بأسره دخلت بذلك مجالس الأسر في جميع أنحاء المقصورة، فارتأينا أن نبرز قيمة هذا المؤلف، وما لعبه من دور فعال في المجتمعات البشرية إضافة إلى ذلك فإن الليالي هي النبع الصافي الذي روى بمياهه العذبة شجرة الرواية الأوروبية، وبجالة أخص الفرنسية والألمانية منتجة العديد من المؤلفات لكثير من الأدباء.

وقد اقتضت طبيعة البحث الاستفادة من المنهج التاريخي الذي يتقضى الحقائق.

أمام مادة البحث فقد فرضت تقسيمه إلى مدخل وفصلين مع مقدمة وخاتمة، وتطرقنا في المدخل إلى مفهوم الحضارة.

ووقفنا في الفصل الأول عند الحضارة العربية الإسلامية وتأثر الغرب بأدبها فتناولنا من خلاله الحضارة العربية قبل الإسلام ثم أشرنا إلى مصادرها ومميزاتها، لنصل إلى الحديث عن طرق انتقالها إلى أوروبا وذلك عبر الأندلس وصقلية وغيرها، وأنهبنا الفصل الأول بتأثر الأدب العربي في الأدب الأوروبي وذلك عندما أبدى الأوروبيون اهتماماً بدراسات الكتب العربية الأدبية وبصفة خاصة القصص وعلى رأسها كليلة ودمنة والقصص الفلسفية والصوفية.

أما الفصل الثاني فخصناه للدراسة التطبيقية وجاءت تحت عنوان أثر ألف ليلة وليلة في الغرب فولتير وغوته نموذجاً.

فتناولنا فيه التعريف بكتاب ألف ليلة وليلة والسر في خلود هذا الكتاب، ثم قمنا بالبحث في نموذجين كانا قد تأثرا كثيرا بألف ليلة وليلة حتى غدت مصدر إلهام بالنسبة إليهما وهما "فولتير" و"غوته".

وأنهينا البحث بخاتمة تضمنت النتائج التي توصلنا إليها من خلال بحثنا.

وقد اعتمدنا في دراستنا على جملة من المصادر والمراجع أهمها كتاب ألف ليلة وليلة بأجزائه، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية لفخري النجار، القدر، فولتير، ترجمة د. طه حسين، وبعوته والعالم العربي، كترينا مومزن ترجمة عدنان عباس علي.

ومما لاشك فيه أنه لا يوجد بحث يخلو من الصعوبات لذلك فقد واجهتنا بعض منها:

- (1) قلة المراجع التي اتخذت "ألف ليلة وليلة" موضوعا لها وإن وجدت هذه المراجع، توجد معها صعوبة الوصول أو الحصول عليها.
- (2) صعوبة التوفيق بين العمل، الدراسة والبحث الذي يتطلب كثيرا من الجهد.

وأخيرا، فإن ما قدمناه في هذا العمل إنما هو جهد قليل ولكن حسبنا أننا اجتهدنا، ولا يسعنا إلا أن نتوجه بالشكر الخاص إلى الأستاذ المشرف الذي لم يرض علينا بالتوجيهات والنصائح والملاحظات، فله منا جزيل الشكر والتقدير والعرفان.

الخطبة

مفهوم الحضارة

المدخل: مفهوم الحضارة

الحضارة هي "التقدم والازدهار"، وهي طريقة الحياة التي ارتضتها الأمة لنفسها في جميع المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعمرائية المنبعثة من قيم معينة ومثل محددة. ومن هذا المنظور قد نتساءل عن ماهية الحضارة لغة واصطلاحاً؟

(1) الحضارة في اللغة:

"الحضارة" من الإقامة في الحضر، وحاضر القوم جالسهم وحادثهم بما يحضرهن وحضر الشيء أعده، واحتضر المجلس والمكان نزل فيه، وتحضر تخلق بأخلاق أهل الحضر وعاداتهم، واستحضره طلب حضوره.

الحاضر: القوم الذين ينزلون على ماء يقيمون قربة ولا يرحلون عنه، وكذلك الحي إذا حضروا لدار فيها مجتمعهم، والحاضر المقيم في الحضر.

والحاضرة: خلاف البادية وهي المعدن والقرى والريف. والحضرة: الحضور والتواجد⁽¹⁾.

فمن خلال هذا التعريف اللغوي ندرك أن الحضارة مرحلة بعد البداوة لأنها تدل على سكن الحضر واجتماع الناس للتعاون في تدبير شؤون حياتهم؛ فإذا كانت حياة الحضارة هي حياة الاستقرار فإن حياة البداوة تعتمد على التنقل طلباً للكلاً وبجثا عن العشب والماء.

¹- تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، فحري خليل النجار، دار الصفاء، عمان، ط1، 2009 - 2010، ص 19.

(2) الحضارة اصطلاحاً:

تعددت تعاريف الحضارة بتعدد الخلفيات الفكرية والمذهبية لمن تناول اللفظ بالشرح والدرس... ولعل الحاضر في الأذهان من معنى ظاهر للحضارة هو التقدم المادي للمجتمع، لكن هل حقاً تقدم المجتمعات البشرية في الحقول المادية هو الحضارة؟ هناك من يرفض ذلك. فبعدهما تطرقنا للجذر اللغوي للحضارة ومعانيها المتعددة، نمر للمدلول الاصطلاحي والآراء المختلفة في مفهوم الحضارة أيضاً، فما هي هذه التعاريف؟

(1) الحضارة عند بن خلدون:

لقد كان ابن خلدون تـ808هـ أول من عرّف الحضارة اصطلاحاً فقال: "هي تفنن في الترف وإحكام الصنائع المستعملة في وجهة ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش والآنية وسائر عوائد المنزل وأحواله"⁽¹⁾.

وهكذا نجد في تحليل عبد الرحمن بن خلدون لماهية الحضارة قد ذكر أنها نمط من الحياة المستقرة التي تزدهر في ظلها فنون من العيش والعلوم والصناعات المختلفة وإدارة شؤون الحكم والحياة وتوطيد أسباب الرفاهية.

(2) الحضارة عند مالك بن نبي:

لقد عرف مالك بن نبي الحضارة قائلاً: هي مجموع الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل فرد من أفرادها في كل طور من أطوار وجوده منذ الطفولة إلى الشيخوخة المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذلك من أطوار نموه"⁽²⁾. ويعرف

¹ - المقدمة، عبد الرحمن بن خلدون، ج1، ف3، الدار البيضاء، تحقيق عبد السلام الشدادي، ط1، 2005، ص 290.

² - آفاق جزائرية، مالك بن نبي، مكتبة عمار، القاهرة، د.ط، 1971، ص 38.

ذلك عنده بالتعريف الوظيفي فيما الحضارة، أي أن الحضارة يجب أن تحدد من وجهة نظر وظيفية، فهي ذلك العمل الاجتماعي الذي يقوم به المجتمع في سبيل توفير الضمانات التي تؤهل دوره في التاريخ من مولده إلى مماته.

(3) الحضارة بالمفهوم الشامل:

لا بد للحضارة أن يكون لها مفهوما شاملاً عند بني البشر، فلا ينبغي أن يكون لأمة حضارة وأن لا تملك الأخرى حضارة، فلكل أمة حضارتها، إلا أن المفهوم الشامل لها هو كل إنتاج مادي أو أدبي لإنسان سواء أكان إنتاجاً راقياً أو بدائياً، ولهذا لا يمكن القول بأنه يوجد مجتمع دون حضارة، وكل حضارة من الحضارات هي سلسلة ضمن جهود حضارات سابقة. ولكل حضارة صورة تميز تلك الأمة وجهودها في فترة زمنية معينة⁽¹⁾.

أما غاية الحضارة فهي: "الارتقاء بالحياة الإنسانية لأن هذه الأخيرة تهدف للوصول إلى مراتب أعلى وإنجازات أرقى؛ كما أنها تؤدي إلى الارتقاء بالفكر الإنساني لأن الإنسان بفكره يدعو إلى الأخذ بالأفضل، بالإضافة إلى ذلك فغاية الحضارة السيطرة على الطبيعة وهي تحقق المساواة، فالجميع يعمل في ظل الترتيب الاجتماعي والوظيفي، فهو يشعر بالمساواة مع غيره في الحقوق والواجبات. وأخيراً، إن الحضارة تحقق تماسكاً بين أفراد المجتمع، لأن أصلها جماعي، والفردية لا تعمل في ظل الحضارة، ومن هنا فالبناء الاجتماعي فيه الانجاز، وكل عالم ابتكر وأخترع لم يكن سوى متعلماً لأصول أخذها من سابقه من العلماء"⁽²⁾. ومن هنا ندرك أن للحضارة أهدافاً نبيلة تسمو بالإنسان إلى أعلى المراتب في هذه الحياة.

¹ - تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، فحري خليل النجار، ص 21.

² - ينظر: المصدر نفسه، ص 22.

أما عن شروط قيام الحضارة التي تساعد الإنسان وتمكنه من السيطرة على محيطه هناك "عامل الاستقرار وما يتبعه من نشاطات بالثبات والاستمرار المؤدي للتراكم. ولذلك حضر ابن خلدون صفة الحضارة في المجتمعات المستقرة، واعتبرها مناقضة للبداوة المتنقلة"⁽¹⁾. أما الأستاذ مالك بن نبي فيرى أن "الحضارة لا يمكن أن يقوم قائمها إلا إذا توفرت لها ثلاثة شروط أساسية، لخصها في معادلته الشهيرة [حضارة = إنسان + تراب + زمن (وقت)] (شروط النهضة + حديث + حديث في البناء الجديد).

فالإنسان وهو المحرك الأول للحضارة لا يستطيع أن ينتج حضارة إلا إذا توفر له مجال مكاني وبعد زمني يمكنه من إدراك ذاته والتفاعل مع محيطه، ولكن هذه العناصر الثلاثة لا تستطيع بمفردها أن تنتج حضارة لأنها عاجزة عن التفاعل فيما بينها دون تدخل عامل "الفكرة المركبة" الفكرة المركبة هي التي تطلق شرارة التفاعل بين الإنسان ومحيطه الترابي عبر الزمن، وهو الفكر الديني.

والحضارة عنده تأخذ دائماً مساراً معلوماً يمر بمراحل محددة أوجزها في ثلاث محطات

كبرى هي:

1- مرحلة الايمان.

2- المرحلة العقلية.

3- المرحلة الغريزية"⁽²⁾.

وبهذا ندرك أن الحضارة حسب رأي مالك بن نبي لها عمر مثلها مثل الإنسان.

¹ - الحضارة العربية الإسلامية بين التأثير والتأثر، الربيعي بن سلامة، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، 2009، ص 11.

² - المرجع نفسه، ص 12.

فلكي تؤسس لانطلاق حضارة علينا أن نحتكم إلى الدين أولاً وهي مرحلة الإيمان عند مالك، ثم تأتي مرحلة العقل الذي هو الحافز للإبداع، وفترة تشمل كل ميادين الحياة من فلك وطب ورياضيات... وفي الأخير، تأتي مرحلة الغريزة وهي مرحلة السقوط، وذلك يتأتى بالتنافس على بهجة حياة الدنيا.

لكن ومن وجهة نظرنا، الحضارة لا تسقط بل تنتقل، فالأمة التي تسقط يصعب عليها الرجوع.

جاء في اصطلاح علماء الاجتماع أن الحضارة "هي إنتاج الإنسان المدني الاجتماعي بخصائصه الفكرية والوجدانية والسلوكية، تحقيقاً لأهداف أمته، وما ارتضه لنفسها من قيم ومُثل"⁽¹⁾.

هكذا يمكن القول بأن الإنسان بفكره ووجدانه يتجه نحو السلوك الايجابي كي يرضى الله تعالى.

وفي القرن 19م أثار العالم الإنجليزي (تايلور Taylor) في تعريف الحضارة "بأنها ذلك الكل المعقد الذي يشتمل المعارف والعقيدة والفن والقيم الأخلاقية والقانون والتقاليد الاجتماعية إلى غير ذلك وهو تعريف شمولي لم يفصل فيه التنظيم الاجتماعي والمؤسسات الاجتماعية عن مفهوم الحضارة"⁽²⁾. وعليه فإن الحضارة تتجسد في النظم التي تشمل النظم السياسية والاقتصادية والإدارية وغير ذلك.

¹ - مقومات الحضارة الإنسانية في الإسلام، حسن رمضان فلة، دار الهدى، الجزائر، ط1، 1410هـ - 1989، ص 13.

² - تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، عبد الرحمن حسين العزاوي، دار الخليج، عمان الأردن، ط1، 1432هـ - 2011م، ص29.

وعلى الرغم مما تقدم يبقى تعريف الحضارة تعريفا دقيقا جامعا مانعا من المهام الصعبة المنال، "ولذلك نجد أنفسنا مضطرين إلى تبني تعريف تقريري يمكن أن نجمله في العبارة التالية: "حضارة أي مجتمع من المجتمعات أو أمة من الأمم هي عبارة عن مجموع مظاهر حياتها الاجتماعية ممثلة في تراثها المادي والمعنوي"⁽¹⁾.

وهكذا تبقى لفظة حضارة مثيرة للجدل وقابلة للتأويل واستخدامها يستحضر قيم سلبية أو إيجابية كالتفوق والإنسانية والرفعة. رأى ويرى العديد من أفراد الحضارات المختلفة أنفسهم على أنهم متفوقون ومتميزون عن أفراد الحضارات الأخرى.

¹ - الحضارة العربية الإسلامية، الربيعي بن سلامة، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، 2009م، ص 11.

الخطبة الأولى

الحضارة العربية الإسلامية

وتأثير الخرب بآدابها

(1) الحضارة العربية الإسلامية:

تمثل الحضارة العربية الإسلامية حلقة هامة جدا في سلسلة الحضارة الإنسانية، لما قدمته من علوم وأثر تلك العلوم في الحضارات الأخرى. ففي الوقت الذي كانت أوروبا تعيش غياهب العصور الوسطى حيث حطمت كيانها سيطرة رجال الدين وكثرة الحروب، كانت الحضارة العربية الإسلامية في أوجها، وكان العلم العربي في كافة المجالات من طب ورياضيات وفلك وأدب... وغيرها من العلوم.

إن هذه العلوم أضاءت العصور التي كان يسودها الجهل والظلمات، وقد امتدت من الأندلس غربا إلى الصين شرقا، حيث أعطت مفهوما جديدا للتمدن والتحضر من خلال مد جسور التواصل مع الإنسانية جمعاء دون تعصب لدين أو انحياز لعرق، فانصهرت بذلك أجناس تحت تأطير أخلاق الإسلام، فكانت النتيجة التعاون والتكامل بين الأنام. فالحضارة العربية الإسلامية فتحت الأبواب لاكتشاف الكفاءات وهيئات الظروف أمام أصحاب التجارب والخبرات، فازدهرت تحت رايها العلوم، وكثرت الاكتشافات والأبحاث.

✓ فكيف كانت هذه الحضارة قبل الإسلام؟

✓ وما هي المصادر التي ارتكزت عليها؟

✓ وبم تميزت عن غيرها من الحضارات؟

(1-1) الحضارة العربية قبل الإسلام:

للأمم العربية حضارة أصيلة ابتدأت في الجاهلية ونمت في الإسلام بسرعة فائقة، حيث قامت قبل الإسلام بأكثر من عشرين قرنا، وجذورها تمتد عميقة في الجزيرة العربية في قرون موعلة في القدم.

"وقد تأثرت بالعقلية العربية والذهنية العربية، وبأسلوب التفكير العربي، ودوّنت ثقافتها باللغة العربية، ورسمت حروفها بالخط العربي المقدّس"⁽¹⁾.

"حيث يمتاز الجنس العربي بقوة الشخصية، والمعنويات العالية والصبر، والعربي يحمل روحاً مثالية عالية، يستنكف الهزيمة ويتحمل المسؤولية، وجُبل على التحدي والاستمرار والبقاء، فهو من صنّاع التاريخ والحضارة"⁽²⁾.

ولقد أتاح الاستقرار على شواطئ الأنهار، وإلى جانب عيون المياه ومستودعات الأمطار للتطور الحضاري، سواء في الجنوب أو في الشمال، مما ساعد على إقامة دويلات متعددة كان لها شأن كبير في مضمار الحضارة الإنسانية، وقد نمت الحضارة العربية بسرعة فائقة في ظل الإسلام، وبلغت ذروة ازدهارها في العصر العباسي.

"لقد كانت الحضارة العربية الإسلامية حضارة عظيمة غنية ومبدعة، قدم من خلالها شعبنا العربي الكثير من الإبداع في شتى مجالات العلم والفلسفة والأدب والفن والإدارة والسياسة وتثبيت القيم الإنسانية، خدمة للبشرية جمعاء، ومن أجل فهم تلك الحضارة لا بد من تقديم صورة موجزة عن الدول العربية قبل الإسلام"⁽³⁾.

ومن الدول العربية قبل الإسلام:

♣ عرب الجنوب (اليمن):

لقد كانت اليمن في العصور القديمة أخصب بلاد الجزيرة العربية قاطبة وأكثرها تقدماً في الحضارة، والذي ساعد على ذلك هو موقعها الممتاز، "فاليمن تمر بها سلسلتان جبليتان

¹ - أصالة الحضارة العربية، د. ناجي معروف، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1395هـ - 1975م، ص 57.

² - نظر، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، أ.د عبد الرحمن حسين الغراوي، ص 58.

³ - موسوعة الحضارات القديمة والحديثة وتاريخ الأمم، د. محمود شاكر، دار أسامة للنشر والتوزيع، ج1، ط1، ص 368.

تحصران بينهما هضبة عريضة تنحدر نحو البحر تاركة سهلا ساحليا ضيقا يقطعه عدد من الأودية التي تصب في البحر"⁽¹⁾.

كما تسقط على بلاد اليمن في الصيف أمطار غزيرة تساعد على توافر المياه الزراعية. وقد أفاد سكانها من هذه المياه وذلك ببناء السدود، ومن أضخمها وأشهرها سد مأرب. ولقد كان لسد مأرب ببلاد اليمن دور في نمو الحضارة العربية لما خلفه من خير عليهم.

فهذا السد يشهد برقيّ اليمن الزراعي وباهتمام الدولة بالعمران الاقتصادي. وقد أدى توافر المياه واعتدال المناخ وخصوبة التربة في اليمن إلى ازدهار الزراعة وتقدم الحضارة.

وإلى جانب الزراعة كان لليمن ثروة حيوانية مثل الأغنام والإبل والأبقار التي تستخدم في النقل وفي الزراعة، فضلا عن استخدام منتوجاتها في الغذاء وفي الصناعة.

وتشتهر اليمن ببعض المعادن والأحجار الكريمة كالذهب والفضة والعقيق والجزع.

وبطبيعة الحال الثروة الزراعية والحيوانية والمعدنية ساعدت على ازدهار الصناعة وتقدمها، حيث كانت تصدر منتوجاتها إلى بلدان العالم قاطبة.

إن هذا التقدم الزراعي والصناعي والتجاري أدى إلى ظهور المدن وازدهار الحضارة في اليمن وذلك لتوفر أسباب الرفاهية والنضارة واجتماع عوامل الحضارة.

فنشأت في اليمن عدة دول كان منها الدولة المعينية والسبئية والحميرية، وقد ازدهرت حضارة عرب قحطان باليمن في البناء والعمران.

¹- المرجع السابق، ص 368.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۚ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لَهُ ۗ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ ۚ وَرَبُّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾⁽¹⁾.

ولكن إعراضهم عن المنعم جعل ذلك عليهم وبالاً لأنهم ابتعدوا عن النبوة والأنبياء، وانحصروا في شبه جزيرتهم، متمسكين بدين آباءهم وتقاليد أمتهم ووثيتهم السخيفة، التي جعلت منهم أمة منحطة.

♣ عرب الشمال:

ح الأنباط:

تقع في الجنوب الشرقي من فلسطين، كانت محطة القوافل التجارية التي تأتي من اليمن والحجاز وتذهب إلى بلاد الشام ومصر "وتقدمت الحضارة في هذه البلاد وسك ملوكها النقود، وشيدوا أبنية فخمة بعضها منحوت من الصخر"⁽²⁾.

ولقد سعى ملوكها إلى توسيع رقعة حكمهم، فامتد دولتهم وشملت جزءاً كبيراً من فلسطين.

وقد استطاعت هذه الدولة أن تحافظ على استقلالها وتصمد بوجه جيوش الفرس والإسكندر المقدوني الذين حاولوا الاستلاء عليها، وظلت صامدة إلى أن قضى عليها الأمبراطور الروماني تراجان سنة 108م.

¹-سورة سبأ، الآية 15.

²- موسوعة الحضارات القديمة والحديثة وتاريخ الأمم، د. محمود شاكر، ص 370.

تدمر:

نشأت في وسط الصحراء في منطقة فيها عدد من الآبار منذ أزمنة قديمة ساد السلم ونشطت التجارة، وكانت محطة مهمة للقوافل التي تحمل تجارات الهند والصين، فتصل إلى العراق ثم تسلك وادي الفرات وتمر بعد ذلك بتدمر ومنها إلى مدن البحر المتوسط وموانئه الشرقية.

كما أنشأ ملوكها نظاما سياسيا مستقرا، وشيّدوا معابد وأبنية فخمة ما يزال بعضها قائما.

الغساسنة والمناذرة:

الغساسنة قبائل عربية كانت تقيم في البادية في أطراف بلاد الشام، كما سميت آل جفنة، الذين وصلوا في تحضرهم إلى درجة عالية من الرخاء الاقتصادي، وبالتالي الرفاهية الاجتماعية، الأمر الذي دفعهم إلى الاهتمام بالعمران وبناء القصور. "كان للموقع الذي سكنه الغساسنة أهمية كبيرة"⁽¹⁾.

فلقد كانت ولا تزال حتى اليوم من أشهر مناطق بلاد الشام إنتاجا للحبوب، أضف إلى ذلك موقعهم الاستراتيجي الذي جعلهم حلقة اتصال بين الرومان والجزيرة العربية، فانتعشوا اقتصاديا من وراء هذه التجارة.

"وقد أقام الغساسنة حضارة في بلاد الشام تمثلت بقصورهم الجميلة التي كان أشهرها القسطل والمشتى، ومدنهم العديدة العامرة ومنها بصرى التي كانت عاصمة دولتهم"⁽²⁾.

¹ - تاريخ الحضارة العربية، محمد الخطيب، دار علاء الدين، دمشق، ط1، 2007م، ص 41.

² - موسوعة الحضارات القديمة والحديثة وتاريخ الأمم، د. محمود شاكر، ص 372.

وقد سيطر أمراؤهم على القبائل العربية المقيمة في شمال غربي الجزيرة العربية، حيث كانت لهؤلاء مكانة كبيرة عند الروم، مما دفعهم إلى المشاركة في الحروب ضد الفرس، وكان لهم نفوذ في الكثير من القبائل العربية، حيث نظم عدد من الشعراء العرب قصائد في مدحهم، ومن هؤلاء الشعراء النابغة الذبياني وحسان بن ثابت.

أما المناذرة (اللخميون) الذين تزعموا القبائل الواقعة في أطراف العراق الأوسط، فلقد بلغت دولتهم أوج ازدهارها في عهد النعمان الأول (400م - 418م) والمنذر الأول (418م - 462م) "وقد طورت دولة المناذرة أوضاعها الاجتماعية معتمدة على التجارة والزراعة وعرفت الاستقرار في المدن حيث شيدت القصور التي تنتشر آثارها إلى الآن. ومن أشهر هذه القصور قصرى الخورنق والسدير اللذين شيدهما النعمان الأول ملك الحيرة (400م - 418م)"⁽¹⁾.

حكاية:

يرجع تأسيسها إلى القرن الخامس الميلادي، كانت منازل هذه القبيلة في الأصل في جنوب الجزيرة العربية، ثم نزحوا إلى أواسط الجزيرة حيث أسسوا دولة عربية فرضت حكمها في أوج عظمتها على القبائل الساكنة في الحجاز وشمال الجزيرة العربية والبحرين. كما امتد نفوذها على قبائل بعض أجزاء اليمامة.

ولقد تأسست دولة كندة في الطرف الغربي في منطقة ضريبة، وهي منطقة تكثر فيها الأودية والمياه والواحات الخصبة كما تكثر فيها مناجم الذهب. وقد خلفت هذه القبيلة عددا كبيرا من الشعراء والأدباء إذ كانت موئل الشعراء العرب في الجاهلية فنبغ فيهم عددا من

¹- المرجع السابق، ص 372.

الشعراء وفي مقدمتهم الشاعر المشهور امرؤ القيس بن الملك حجر الذي كان له الفضل في حفظ أخبار هذه الأسرة من كندة.

عرب الحجاز:

التي تضم مكة ويثرب والطائف، يقول الأستاذ حامد غنيم: "إن السبق الزمني الذي حققه عرب الجنوب أو عرب الشمال على عرب الحجاز في هذا المضمار لا يرجع إلى اختلاف في نوع العقلية، بل يرجع فقط إلى عوامل الاستقرار، أولى الخطوات على طريق الحضارة، بالنسبة لعرب الحجاز قد تأخرت قروناً عنها بالنسبة لعرب الجنوب وعرب الشمال"⁽¹⁾.

إن أكثر سكان الحجاز بدأوا يعيشون على النظام القبلي لأنهم عرب رحّل، لم يستقروا في المدن إلا النذر اليسير، وكان يربط أفراد القبيلة الواحدة عصبيتهم القبلية.

لكن ذلك لم يمنع قيام الحضارة في هذا المكان، حيث مارس العرب بعض أنواع الزراعة في الواحات والمدن أي في المناطق القابلة للزراعة مثل خيبر ويثرب والطائف وغيرهم، أما تربية الماشية فقد لعبت درواً مهماً في الحياة الاقتصادية آنذاك.

"قد وجّه عرب الحجاز اهتمامهم إلى التجارة لطبيعة الموقع الجغرافي، ذلك أن أهم طريق بين الشرق والغرب كان يمر من بلادهم، من اليمن إلى مكة فيثرب فبلاد الشام، حاملاً بضائع الهند والصين والحبشة واليمن وكانت مكة هي العاصمة التجارية قبيل الإسلام"⁽²⁾.

¹ - الحضارة الإسلامية وآثارها على المدينة الغربية، أ. موسى عبد اللاوي، دار العلوم للنشر والتوزيع، د.ط، د.ت، ص 15.

² - تاريخ الحضارة العربية، محمد الخطيب، ص 29.

فلقد كان لمكة المكرمة أهمية كبيرة في تاريخ العرب والإسلام، إذ كانت من أكبر المراكز الدينية في شبه الجزيرة العربية للحج كما كانت مركزا تجاريا كبيرا، وقد أسهم أهلها في التجارة، فأسس فيها سوق عكاظ -المجمع اللغوي المهم- وهذا ما ساعد أهلها على الاطلاع على أحوال البلاد الأخرى، ووسع آفاقهم كما أدى إلى ظهور مؤسسات إدارية فيها.

1-2) مصادر الحضارة العربية الإسلامية:

إن الحضارة العربية الإسلامية لم تنشأ من العدم، ولم تكن في جزيرة منعزلة عن العالم، وإنما استمدت معارفها من مصادر متعددة، يأتي على رأسها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، إذ هما المصدر الأول للتشريع والمصدر الأساسي للإخبار بالغيبيات التي يجب على المسلمين الإيمان بها، ولكن المعرفة الإسلامية لم تتوقف عند الكتاب والسنة، وإنما امتدت لتشمل الديانات السابقة، فيما يتعلق بالعقائد، لأن المسلمين يؤمنون بكل الديانات السماوية التي سبقت الإسلام، لذلك استفاد المسلمون من اليهودية والمسيحية، وتأثروا بهما في بعض المسائل التاريخية والعقدية، كما استفادوا أيضا من حضارات وثقافات الأمم الأخرى وتأثروا بما أنتجته تلك الثقافات والفلسفات التي سبقت الإسلام، وخاصة الثقافة الفارسية والثقافة اليونانية⁽¹⁾.

بالإضافة إلى أن الأمة العربية حضارة أصيلة منذ الجاهلية، نمت في الإسلام بسرعة مذهلة، فبلغت ذروتها وازدهارها في العهد العباسي ببغداد والأموي بقرطبة والفاطمي بالقاهرة، وفي عهود الدول الإسلامية المختلفة في آسية وإفريقية وأوروبا.

¹ - ينظر: الحضارة العربية الإسلامية بين التأثير والتأثر، الربيعي بن سلامة، ص 66 - 67.

ولكنها أول حضارة في العالم أعلنت حقوق الإنسان، وحرّرت الناس من العبودية والرق ومنحتهم مبادئ الحرية والإيحاء والمساواة نظرياً وعملياً والإسلام هو المعبر الأعظم عن الحضارة العربية⁽¹⁾.

القرآن الكريم:

هو أجل المصادر وأدقها على الإطلاق، لأنه كلام الله، محقق القول، صحيح العبارة، صادق التعبير.

قال الله تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۗ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ

حَمِيدٍ ﴿٢﴾

لقد أنزله الله دستوراً للمسلمين ومنهجاً لحياتهم، ففيه قصص الأولين من الأمم السابقة لأخذ العبرة والعظة لتصحيح أوضاع الأمة، وقد صور حال المسلمين في حرمهم وسلمهم، وحياتهم وعباداتهم، وما اعترضهم من أحوال مبدية رأيه في بيان النهج القويم لبني البشر بما يسائر رغبة رب البشر في صلاح أمرهم في الدنيا والآخرة⁽³⁾.

إن جميع ما أنتجه العقل الإسلامي طوال عهود ازدهار الحضارة الإسلامية يرجع أساساً إلى القرآن الكريم، وقد أشار إلى هذا بعض العلماء مثل الإمام "أبو حامد الغزالي" (ت505هـ) حيث اعتبر القرآن الكريم معجزة علمية وأنه البحر المحيط وسنة علوم الأولين والآخرين، وقد خصّص في كتابه "جواهر القرآن" باباً بين فيه كيف تنشعب العلوم كلها

¹ - أصالة الحضارة العربية، د. ناجي معروف، ص 8.

² - سورة فصلت، آية 42.

³ - تاريخ الحضارة العربية و الإسلامية، فخرى خليل النجار، ص 35.

من القرآن، ومنهم أيضا "جلال الدين السيوطي" (ت 911هـ) في كتابه "الإتقان في علوم القرآن" حيث قال: "اشتمل كتاب الله العزيز على كل شيء، أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة من أصل في القرآن ما يدلّ عليها...".

وذكر من العلوم التي كان القرآن سببا في نشأتها: علوم القراءات والنحو والتفسير وأصول الدين وأصول الفقه والقصص والتاريخ والمواعظ وتفسير الرؤيا... والطب والجدل والهندسة والجبر والنجامة وأصول الصنائع⁽¹⁾.

الحديث النبوي الشريف:

هو المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، فيه كثير من مقتضيات حال المسلمين، وشرحا لما جاء مفصلا في القرآن الكريم⁽²⁾.

فمن الأكد أن القرآن الكريم والسنة الشريفة هما الأصل الأصيل للحضارة الإسلامية.

الحضارة العربية:

يأتي بعد الدين الإسلامي، ينبوع ثان من ينبوع التي أسهمت في الحضارة الإسلامية، ألا وهو حضارة العرب، وإن كان بطبيعة الحال اقل شأنًا من ينبوع الأول، إلا أنه ذا أثر واضح في تلك الحضارة.

"والعرب يقصد بهم سكان الجزيرة العربية داخلها وأطرافها، وهم العنصر الفعال في الدولة الإسلامية، وخاصة في صدر الإسلام، حيث كان لهم ثقافة انفردوا بها، ومثال لذلك

¹ - ينظر: المعجزة القرآنية، بلقاسم بغدادي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، دت، ص 181 - 182.

² - تاريخ الحضارة العربية و الإسلامية، فخري خليل النجار، ص 36.

أن حرصهم على أنسابهم أدى إلى قيام علم الأنساب، لمعرفة أنساب القبائل والأفراد، وظهرت في الأنساب كتب لابن الكلبي، وابن حزم وغيرهما.

كما أن العرب مثل ما هو معروف مفطورون على حب الشعر والخطابة والبلاغة، وهي فنون اشتهرت عند العرب منذ الجاهلية وكانت أسمى ميزاتهم التي افتخروا بها على غيرهم من الأمم.

فكان شعرهم ديوان أخبارهم وسجل أحداثهم، وكنز لغتهم وبلاغتهم، وللعرب تراث وفير من الأمثال والحكم، سجلت في كتب أهمها كتاب الأمثال للميداني.

ومما لا يجب أن ننساه هو حضارات العرب القديمة في أطراف الجزيرة العربية، مثل حضارة الكلدانيين والآشوريين في الشرق وحضارة سبأ وحمير وفي الجنوب، وحضارة الآرميين والكنعانيين والأنباط في الشمال والمدن المتقدمة التي قامت في الغرب مثل الثموديين والمكيين وغيرهما⁽¹⁾.

فإن العرب أسهموا في بناء الحضارة الإسلامية، بالآداب والعادات التي اتصفوا بها من حيث الشجاعة والعفة وحفظ الجوار والكرم، واحترام المرأة والولع بالشعر، وفصاحة اللسان، وشاعت هذه الصفات الحميدة في الإسلام.

الحضارة الفارسية:

شملت الفتوحات الإسلامية أقاليم الدولة الفارسية، التي فقدت سيادتها وتحولت إلى مجرد ولاية من ولايات الدولة الإسلامية، وقد أدت عملية الفتح هذه إلى دخول عدد كبير

¹ - نظم الحضارة العربية الإسلامية، د. إبراهيم علي السيد القلا، دار العلم، والإيمان للنشر، د.ط، 2007، ص 18 - 19.

من الفرس في الإسلام وإلى اختلاطهم بالعرب إلى أوسع نطاق ممكن، فتأثر العرب بثقافتهم⁽¹⁾.

ويظهر تأثير الثقافة الفارسية في الثقافة العربية الإسلامية بوضوح في النواحي التالية:

- ✓ تداول وترجمة الآداب الفارسية إلى الآداب العربية.
- ✓ دخول ألفاظ فارسية إلى العربية.
- ✓ دخول بعض أدوات الغناء والزينة.
- ✓ دخول بعض أنواع المأكّل والملبس.
- ✓ دخول بعض الخرافات والأساطير.
- ✓ ظهور الزهد والتصوف الإسلامي.
- ✓ وجود بعض المذاهب الفارسية من مانوية وزاد شنيّة، ومزدكية⁽²⁾.

كما يظهر التأثير الفارسي في العرب في الماديين السياسية وتجسّد ذلك في نمط الحكم الذي كان خلافة، ثم تحول بعد أن تدخل الفرس إلى ملك.

أما في الميادين الأدبية فكان التأثير واضحاً فيما نقله العرب من روائع الأدب الفارسي وقصصه وحكمه، وقد كان ابن المقفع من أوائل الذين أثروا هذا الجانب بنقله كتاب "كليلة ودمنة" وكتاب "الأدب الصغير والأدب الكبير"...

¹ - الحضارة العربية الإسلامية بين التأثر والتأثير، الربيعي بن سلامة، ص 68 - 69.

² - تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، فخري خليل النجار، ص 163.

ونتيجة لدخول الفرس في الإسلام، وضع أبو الأسود الدؤلي علامات الإعراب (الضمة، الفتحة، الكسرة) في القرآن الكريم وظهر علم النحو⁽¹⁾.

الحضارة الهندية:

على الرغم من أن الهند لم تكن من أوائل البلاد المفتوحة كفارس، إلا أن تأثيرهم في مسار الحضارة العربية الإسلامية واضح في العديد من المجالات العلمية والأدبية والدينية، فقد كان تأثير الثقافة الهندية واضحاً قبل الفتح الإسلامي لبعض أقاليم الهند، وكان عبر الثقافة الفارسية التي تأثرت بها ونقلت إلى العربية ضمن ما نقل عن الفارسية، ومن أشهر عناصر هذا التأثير ما ورد من قصص الهند مثل "كليلة ودمنة" و"قصص السند باد" وبعض قصص "ألف ليلة وليلة"⁽²⁾.

كما تأثر العرب المسلمون بالطب الهندي والفلك والرياضيات، وقد اشتهر من الهنود الشاعر أبو عطاء السندي.

كما اشتهر من الهنود ابن الأعرابي، وكان عالماً من أعلام اللغة والأدب والشعر ومن تلاميذه ثعلب وابن السكيت.

ولقد تأثر العرب بالعقائد الهندية أيضاً، ومن ذلك انتشار أفكار "السَّمْنِيَّة"⁽³⁾ و"التناسخ"⁽⁴⁾.

¹ - ينظر: في الحضارة العربية الإسلامية، د. الربيعي بن سلامة، منشورات جامعية، منتوري، قسنطينة، د.ط، 2004 - 2005، ص 41.

² - الحضارة العربية الإسلامية، الربيعي بن سلامة، ص 72.

³ - فرقة من الفرق القائلة بالتناسخ ولكنها ترى أن العلم والمعرفة لا يمكن أن تتم إلا من باب الحواس.

⁴ - الأرواح لا تموت، ولا تقن وأنها أبدية الوجود.

وهكذا يتضح لنا أن تأثير العناصر الهندية في الحضارة العربية الإسلامية لم يقتصر على جانب من جوانب الحياة، وإنما تسرّب إلى كل مناحي الحياة العلمية والأدبية والدينية والمعتقدات⁽¹⁾.

الحضارة اليونانية:

أما ينبوع الآخر للحضارة العربية الإسلامية فهو الحضارة اليونانية التي كان لها أثر عليها، فاليونان أمة عريقة في الفلسفة والعلوم والفنون والآداب، حيث نبغ سقراط وأفلاطون، فلقد نقل السريان في الشام والعراق إلى لغتهم السريانية الكثير من المؤلفات اليونانية قبل الإسلام مثل الفلسفة والطب والرياضيات والكيمياء والفلك والجغرافيا، وعلّقوا عليها وشرحوها⁽²⁾.

ويمكن أن نلاحظ التأثير اليوناني في الحضارة العربية الإسلامية قد تمّ على مرحلتين، فأما الأولى فتجسّدت فيما نسميه بتأثير الحضارة الهيلينية بصفة عامة على منطقة الشرق والغرب التي شملتها فتوحات الإسكندر الأكبر، والتي انطلقت من مقدونيا بأوروبا لتشمل مصر وليبيا في إفريقيا والشام والعراق وفارس وامتدت لتشمل تركستان وأفغانستان وقسماً من بلاد الهند في آسيا، وقد تركت فتوح الاسكندر في كل هذه الأقاليم أثراً للثقافة اليونانية.

ولكن التأثير الأكبر للثقافة اليونانية هو ذلك التأثير المباشر الذي وقع في المرحلة الثانية، وقد كان من خلال المراكز الثقافية الكبرى لإشعاع الحضارة اليونانية في المشرق وشمال إفريقيا ولقد بدأت هذه المرحلة مع بداية عهد المنصور (136هـ) بداية ساذجة

¹ - ينظر: المرجع السابق، ص 75.

² - نظم الحضارة العربية الإسلامية، إبراهيم علي السيد القلا، ص 20.

وتطورت مع الزمن حيث ترجمت مجموعة من الكتب إلى اللغة العربية منها كتاب أرسطو طاليس في المنطق، وفي هذه المرحلة تعرّف المعتزلة على كتاب المجسطي ابن جبرائيل وتأثرت أبحاثهم بالفلسفة ومنطق اليونانيين، وظهرت بعض المصطلحات الفلسفية في أقوالهم، فتكلموا عن الجواهر والأعراض...

فإن الترجمة تناولت معظم الجوانب العلمية والفلسفية، لكنها قصرت عن ذلك في ميادين الأدب، إذا كان أدبا وثنيا يقوم على أساطير تمجد آلهة متعددة.

ولذا فإن العرب كانوا وعاءاً للمعرفة اليونانية ونقلوها إلى اللغة العربية، فساهمت هذه الترجمة في إثراء اللغات والعلوم الأوروبية، وأن النهضة الأوروبية مدينة للعرب في علومها التي ابتكروها أو ترجموها أو أضافوا إليها.

الحضارة الرومانية:

لقد توسعت دولة الروم توسعا كبيرا حتى بلغت من السلطان ما لم تبلغه دولة أخرى في زمانها⁽¹⁾.

وقد اتخذ الرومان لأنفسهم الحضارة اليونانية نتيجة للتقارب. حيث حدث تمازج كبير بين معتقداتهم، قيل "لم تمت الحضارة اليونانية حين استولت رومة على بلاد اليونان، بل عاشت بعد ذلك قرون"⁽²⁾.

وهكذا كان تأثيرها في الحضارة العربية الإسلامية استمرار لتأثير الحضارة اليونانية لأن الرومان استولوا عليها وعلى علومها وأفكارها ومنجزاتها وعملوا بها.

¹ - حضارة العرب في صدر الإسلام، حسين الحاج حسن، مجد المؤسسة الجامعية، بيروت، ط2، 2006م، ص 18.

² - ينظر: قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة: محمد بدران، دار الجيل، لبنان، ج8، د.ت، ص 205.

ثم سقطت روما ويقول ديورانت: "والحضارة العظيمة لا يقضى عليها من الخارج، إلا بعد أن تقضي هي على نفسها من الداخل، وشاهد ذلك أننا نجد الأسباب الجوهرية لسقوط روما من شعب روما نفسه أي في أخلاقها، وفي النزاع بين طبقاتها وفي كساد تجارتهم، وفي حكومتها الاستبدادية البروقراطية، وفي ضرائبها الفادحة الخائفة وحروبها المهلكة"⁽¹⁾.

والخلاصة التي يمكن الخروج بها مما تقدم هي أن الحضارة العربية الإسلامية لم تنبثق من العدم، ولم تكتف بما أنتجت العقل العربي في جزيرته وإنما استفادت من كل الحضارات التي سبقتها، وهذا ليس عيباً ولا نقيصة لأن الحضارة الإسلامية استطاعت -بعد أن استوعبت الحضارات السابقة- أن تضيف وان تبتكر في مختلف ميادين الحياة المدنية والثقافية، وبذلك قدّمت للحضارة الإنسانية إسهامات خالدة تطورت بفضلها الإنسانية وخطت خطوات عملاقة على مسيرة التقدم والرقي.

3-1) مميزات الحضارة العربية الإسلامية:

لأي حضارة خصوصيات تميزها عن غيرها من الحضارات، تتصل بشعب تلك الحضارة ونظرتهم إلى الحياة، وطريقة تفكيره وعاداته وتقاليدته ومدى تفاعله مع بيئته.

"الحضارة العربية الإسلامية تعدّ من أكبر الحضارات التي عرفها العالم البشري، ولقد أثار إشعاعها معظم جهات العالم، ولا يزال ينير الكثير من جنبات العالم الحديث أيضاً طوال قرون عديدة.

¹ - الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، شوقي خليل، دار الفكر العربي، سورية، ط1، 1994، ص 88 - 89.

فالحضارة العربية الإسلامية انتشرت مآثرها الرائعة في معظم أنحاء العالم، فكانت من أنبل حلقات الحضارة الإنسانية⁽¹⁾.

وذلك لأن لهذه الحضارة شخصية تمتاز بها عن غيرها من الحضارات، فإنها غنية بثروتها اللغوية، والدينية، وتراثها العلمي والأدبي والفكري، وبكل مقومات الحياة الحرة الكريمة، وهي غنية برجالها وبالأمّة العربية، معتزة بأمجاد الإسلام، الذين خلقوا الأمّة العربية خلقاً جديداً وكونوا منها أمة أضاءت العالم، فلذا اتسمت بصفات ميّزتها عن غيرها من الحضارات نذكر منها:

حضارة عربية:

العربية مظهر بارز لهذه الحضارة، تتجلى فيها شخصية الحضارة العربية في الجاهلية والإسلام حتى اليوم وذلك لثراء مفرداتها ومصطلحاتها، ودقة تعابيرها، وآدابها، وعلومها المختلفة.

وقوام هذه اللغة في العصر الجاهلي: الشعر الذي يظهر في المعلقة المشهورة. وفي شعر الشعراء الذين عاشوا قبل الإسلام، وفي النثر الذي نتبينه في سجع الكهان، وخطب الجاهلين، والحكم البليغة، والأمثال السائدة التي أثرت عن حكماء العرب⁽²⁾.

وقوامها في الإسلام: القرآن الكريم، وأحاديث الرسول ﷺ وخطبه وخطب أصحابه وخلفائه من بعده وخطب ولائهم، ونثر الكتاب، ورسائل البلغاء، وكتب العلماء، وشعر الشعراء، فالقرآن الكريم الذي نزل بلغة قريش حفظها، وحفظ الوحدة الثقافية في البلاد

¹ - ينظر: الأندلس، محاضرات في التاريخ والحضارة، د. هادي عباس، منشورات ألجا، فاليتا، د.ط، 1988م، ص 26.

² - أصالة الحضارة العربية، د. ناجي معروف، ص 29.

العربية الإسلامية. وقد جاءت في القرآن الكريم آيات كثيرة تشير إلى نزول القرآن بلسان عربي مبين نذكر منها قوله تعالى:

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾⁽¹⁾.

﴿ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾⁽²⁾.

﴿ وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَيُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴾⁽³⁾.

"ولقد استعملت الشعوب التي عاشت في ظل الحكم العربي الإسلامي اللغة العربية للتعبير عن نواحي الفكر، وهذا يعكس بدوره قابلية اللغة العربية نفسها ومرونتها.

وخير دليل على ذلك مئات الآلاف من الكتب التي خلفها المؤلفون في مختلف المواضيع باللغة العربية⁽⁴⁾.

وذلك لتمييزها عن غيرها من اللغات، وإنبهارهم بها، قال الحرث بن كلدة الثقفي: "لغة فصيحة، وألسن بليغة، وأنساب صحيحة، وأحساب شريفة، يمرق من أفواههم الكلام مروق السهم من نبعة الرام، أعذب من هواء الربيع، وألين من سلسبيل المعين"⁽⁵⁾.

فإنها اللغة التي تسير التطور السريع وتمتاز بالبساطة والوضوح.

¹ - سورة يوسف، آية 2.

² - سورة النحل، آية 103.

³ - سورة الأحقاف، آية 12.

⁴ - ينظر: تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، أ.د عبد الرحمن حسين الغراوي، ص 216.

⁵ - عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، تحقيق: نزار رضا، دط، دت،

حضارة إسلامية:

إن الروح الدافعة للحضارة العربية هي الإسلام، فهي حضارة عربية إسلامية قامت في ظل الإسلام والدولة العربية، على أن هذا لا يعني إهمال دور من أسهم في بناء هذه الحضارة من غير المسلمين، بل المقصود أن المحيط الذي كان الناس جميعا يعيشون فيه هو محيط عربي إسلامي والبيئة الاجتماعية بيئة عربية إسلامية.

أي أن الإسلام هو أساس الحضارة وروحها الذي نزل للبشرية جمعاء، وفتح الباب على مصراعيه أمام كل المسلمين، بل كل البشر، باختلاف أصولهم وأعراضهم للإسهام في بناء صرح الحضارة، حيث اشتركت في بنائها شعوب وعناصر متعددة من فلاسفة وعلماء وأدباء لا ينتمون إلى العنصر العربي، وإنما ينحدرون من أصول فارسية وتركية وهندية.

إنها حضارة العرب وغير العرب، جمع بينها الإسلام عقيدة وشريعة، ووحدها اللسان العربي⁽¹⁾.

حضارة إيمانية:

بمعنى أنها تنبثق عن أصول عقيدة مستمدة من منهج عمل إلهي... وحيي قادم من السماء، وهي بهذا تتجاوز اعتبار الوجود، المصدر الوحيد للمعرفة.

وتتميز عن الأنشطة المعرفية الأخرى باعتماد هذا الأصل الخطير جنبا إلى جنب مع الوجود، ومن ثم تغدوا الحضارة الإسلامية تعبيرا متفردا عن ذلك اللقاء المرسوم بين السماء والأرض.

¹ - في الحضارة العربية الإسلامية، د. الربيعي بن سلامة، ص 8 - 10.

وتتمحور إيمانية هذه الحضارة، كما هو شأن كل ممارسة إسلامية عند (التوحيد)، وتنطلق منه منداحة دائرتها باستمرار لكي تغطي كل مفردة في حياة المسلمين المعرفية والسلوكية على السواء⁽¹⁾.

قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ فِيمَا ءَاتٰكَ اللّٰهُ الّٰدَارَ الّٰخِرَةَ ۗ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۗ﴾⁽²⁾. وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ

قال: "وما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زراعا فيأكل منه إنسان أو طير أو بهيمة إلا كانت له به صدقة"⁽³⁾.

لذا اتصفت هذه الحضارة بأنها حضارة إيمان، وفي ظل هذا الإيمان نشأت ونمت وازدهرت وبفضله اكتسبت قيمها ومبادئها ومثلها.

حضارة تسامح:

الأمة العربية هي أمة الرسول الكريم ﷺ، حيث ضرب المثل الأعلى في الصّبح، في حالة القوة والضعف، مما يؤكد أن العفو والصّبح قيمة إسلامية رفيعة. فلقد أمر الله عز وجل رسوله ﷺ بالصّبح والتسامح في أكثر من موضع في القرآن الكريم، كما طالب الإسلام المسلم أن لا يحمل في قلبه غلا لغيره وللذين آمنوا، لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ

¹ - الوسيط في الحضارة الإسلامية، عماد الدين خليل، د. فايز الربيع، دار الحامد للنشر والتوزيع، د.ط، 2004، ص 167.

² - سورة القصص، الآية 77.

³ - صحيح البخاري.

جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾

وكانت تلك سنة المؤمنين من بعد، فكانت وصية الخلفاء لقادتهم أن يتألفوا أهل البلاد المفتوحة، فلما تم لهم الفتح واستقروا في هذه البلاد اختلطوا معهم وامتزجوا بهم ولم يعيشوا في عزلة متكبرين، فكان ذلك خير وبركة على العروبة والإسلام⁽²⁾.

ففي ظل التسامح والمحبة يكون التعاون ممكناً، فلقد شاركت جميع الأجناس والأجيال في دفع هذه الحضارة إلى الأمام كما أنها احتضنت المسلم والمسيحي واليهودي والصائبي والمجوسي⁽³⁾.

حضارة السلام وخدمة الإنسان:

الإسلام كلمة مشتقة من السلام، ولذا نجد الحضارة العربية تفيض بروح السلام وألفاظه ومعانيه، ولقد تكرر لفظ السلام في عشرات الآيات من القرآن الكريم التي تعبر عن جوهر العلاقات التي تربط الإنسان بربه، وتربط الإنسان بالإنسان، فالله السلام، وتحية المسلم السلام، وتحية اللقاء والوداع، ودعاء من المؤمن لرسوله، وفاتحة كل قول وكل كتاب، والسلام دعوة محمد ﷺ إلى الناس وإلى الشيوخ والملوك والأمراء. والسلام والأمن فاتحة كل عهد كتبه المسلمون مع أهل البلاد المفتوحة، وفي ظله أمن الناس مسلمين وغير

¹ - سورة الحشر، الآية 10.

² - أسس الحضارة العربية الإسلامية ومعالمها، حسن جبر، دار الكتاب الحديث، ط2، 1999م، ص 78 - 79.

³ - ينظر: تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، عبد الرحمن حسين الغزاوي، ص 82.

مسلمين على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم ومللهم، فاطمأنت قلوبهم، ونهضوا يعملون، فكان السلام سببا في ازدهار أعمالهم في كل مجالات الحياة⁽¹⁾.

ولقد أجمع الباحثون على أن البلاد التي احتوتها الدولة العربية الإسلامية والتي ترعرعت فيها الحضارة العربية الإسلامية ونعمت تحت مظلة الإسلام بقدر من السلام لم تعرفه في تاريخها السابق⁽²⁾.

الشمولية والانفتاح:

إن معظم الحضارات التي عرفها التاريخ البشري تميل إلى جانب من جوانب السعي البشري في الأرض، أما الحضارة العربية الإسلامية "فتميّزت بالمرونة والشمولية والانفتاح وسعة الأفق. فقد انفتحت على العالم وعلى الحضارات كافة. فمنذ مولدها لم تكن متفوقة على نفسها، وإنما قابلة للأخذ والعطاء، والتأثر والتأثير، من حضارات العرب قبل الإسلام، وما اقتبسته من حضارات الأمم الأخرى في الشرق والغرب من خلال عملية التأثير المتبادل، ثم أفرغ العرب هذا المزيج في قالب خاص، طبع بالزعة العلمية، وحب الاستقصاء والابتكار"⁽³⁾.

"فإذا كانت معظم الحضارات البشرية التي عرفها التاريخ ترمي بنقلها صوب هذا الجانب أو ذلك من جوانب الحياة، فتميل لأن تكون عقلية أو حسية أو حدسية أو روحية... وتصب اهتمامها على هذه المساحة أو تلك من مساحات الخبرة، فإنه في الحضارة

¹ - ينظر: أسس الحضارة العربية الإسلامية ومعالمها، حسن جبر، ص 77.

² - تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، أد. عبد الرحمن حسين الغراوي، ص 79.

³ - أصالة الحضارة العربية، د. ناجي معروف، ص 76.

الإسلامية ليس ثمة جنوح في هذا الاتجاه أو ذاك، فيما عدا حالات محدودة بطبيعة الحال"⁽¹⁾.

إن استيعاب هذه الحضارة لكل المؤثرات الحضارية التي دخلت إليها، لا يقل من شأنها، لأنها تخرّبت وانتقت ما يناسبها ويفيدها، في سبيل خدمة الإنسان والإنسانية.

حضارة عالمية:

"إنها كانت عالمية في محتواها، فلم تكن للعرب وحدهم، ولم تقتصر على أجزاء من البلاد فقط، بل شملت العالم المعروف آنذاك، كما أن ما نتج عنها من آراء وأفكار في مختلف الميادين تناسب شعوبا كانت تعيش خارج الأرض العربية"⁽²⁾.

وذلك لأن رسالة الإسلام جاءت عامة إلى جميع البشر، حيث وحدت وساوت بين القبائل العربية وبين كل من يدخل في الإسلام من الشعوب الأخرى، فكان ذلك دفعا لنشر الإسلام بين الشعوب المختلفة، وفي مناطق جغرافية متعددة.

"فهي تتعامل مع الإنسان أيا كان عرقه وإقليمه وجغرافيته وطبقته ولونه ومذهبه لكي تحقق انتشارها على مستوى العالم كله"⁽³⁾.

"ولذا لم تحصر الحضارة العربية الإسلامية ودعوة الإسلام بعنصر من العناصر وإن كان للعرب فيها خصوصية، أو مجموعة عرقية، بل كانت لجميع البيئات والشعوب التي عايشت هذه الحضارة.

¹ - الوسيط في الحضارة الإسلامية، د. عماد الدين خليل، ص 173.

² - تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، عبد الرحمن الغراوي، ص 217.

³ - المرجع السابق، ص 175.

فالحضارة العربية الإسلامية لم تميز بين إنسان وإنسان، بل كانت عامة لجميع البشر بلا استثناء"⁽¹⁾.

حضارة أمانة:

تتصف هذه الحضارة بالأمانة، فإذا كان علماء هذه الحضارة قد عربوا ونقلوا من علوم اليونان والفرس والهنود وغيرهم، فإنهم لم ينسبوا ما نقلوه إلى أنفسهم، وإنما إلى أصحابه الذين نقلوا عنهم. وهذا ما لا نجد في الحضارات الأخرى، حيث أن علماء اليونان مثلا نقلوا كثيرا من حضارات وادي الرافدين ووادي النيل ونسبوه إلى أنفسهم وهو لغيرهم. ومثلهم علماء أوروبا في العصر الحديث الذين نسبوا ما أخذوه عن الحضارة العربية الإسلامية لأنفسهم"⁽²⁾.

(2) دور الحضارة العربية الإسلامية في الحضارة الأوروبية:

للحضارة العربية الإسلامية أثر عظيم لا ينكر في الحضارة الأوروبية، ولولا الإسهامات الرفيعة والشاملة لهذه الحضارة، ما كان لأوروبا أن تصل إلى ما وصلت إليه من تقدم معرفي وتكنولوجي، وهذا الأمر لا يستطيع إنكاره أشد مفكري الغرب حقدا على العرب المسلمين، فهذه الدكتورة زيغريد هونكة تقر وتقول: "ففي الوقت الذي كان فيه الغرب يسير في طريق مظلم ويغط في سبات عميق، أصبحت بغداد بمكتباتها وثقافتها ومدارسها حاضرة الدنيا بلا منازع وجذبت قرطبة في إسبانيا طلاب العلم والمعرفة من أنحاء الشرق والغرب وفي القاهرة كانت مكتبتا الخليفة تضان مليونين ومائتين من المجلدات، في

¹ - ينظر: تاريخ الحضارة الإسلامية، محمد عبد القادر، خريسات، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، الأردن، ط1، 2000م، ص 371.

² - تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، عبد الرحمن الغراوي، ص 83.

حين لم يكن أحد في روما في ذلك الوقت على سبيل المثال يملك من المعرفة ما يؤهله لأن يعمل بوابا لأي مكتبة من مكتبات العالم الإسلامي؛ وتقول أيضا: وأنى لنا أن نعلم الناس ونحن بحاجة لمن يعلمنا"⁽¹⁾. أما سعيد عبد الفتاح عاشور فيرى بأن "الحضارة العربية الإسلامية كانت مزدهرة في ربوع العالم الإسلامي وبالتوقيت نفسه كانت أوروبا في فترة الركود الذهني والعلمي في العصور الوسطى، ودعا كثير من الكتاب إلى وصفها بالعصور المظلمة لأن العلم في أوروبا احتركه رجال الدين ولأن المعرفة حدّدت بأطر دينية، منعت الناس من التفكير فيما وراء ذلك، وبانتشار الإسلام وصل إلى أوروبا عن طريق دروب ضيقة ومراكز تطرقنا إليها سابقا أضاءت العقل الأوروبي وكانت أحد عوامل النهضة الحديثة"⁽²⁾. وهكذا درس المسلمون الآثار الفكرية للحضارات السابقة أتموا نواقصها وصححو أخطاءها، وأضافوا إليها كثيراً من الحقائق التي وصلوا إليها بتجارهم ومن ثم استفاد الأوروبيون وكانت القاعدة التي بنوا عليها تطورهاهم وتقدمهم في مختلف المجالات.

1-2) طرق وسبل انتقال الحضارة العربية إلى أوروبا:

1-1-2) الأندلس:

أنشأ المسلمون العرب في الأندلس المدارس والمكتبات وقاموا بحركة الترجمة، حيث ترجموا كتب اليونان ودرسوا العلوم الرياضية والفلكية والطبية وغيرها.

¹ - ينظر: شمس العرب تسطع على الغرب، زغيريد هونكة، نقله عن الألماني فاروق بيضون، كمال دسوقي، دار الحيل بيروت دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1413 هـ - 1993 م، ص 353.

² - حضارة ونظم أوروبا في العصور الوسطى، سعيد عبد الفتاح عاشور، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1976 م، ص 259.

كان الأوروبيون يأتون إلى مراكز الحضارة الإسلامية في الأندلس للدراسة، ونقل علوم المسلمين إلى الإسبانية، وقد نهل علماء أوروبا وطلاب العلم من التطور العلمي والأدبي الذي وصلت إليه الأندلس آنذاك.

"وفي عهد ألفونسو العاشر تم ترجمة كتب الحكم والألغاز، وانتشرت ترجمة الحكمة والقصص مثل: السندباد وألف ليلة وليلة"⁽¹⁾. ومن أهم الكتب التي ترجمت من العربية إلى الإسبانية آثار الغزالي (مقاصد الفلسفة)، ابن سينا (النفوس والطبيعة) وكتب الخوارزمي.

2-1-2) البعثات العلمية:

كان للعام العربي الإسلامي دور كبير في اكتساب الأوروبيين العلوم العربية الإسلامية، حيث "بقي العرب المسلمون طوال ثمانية قرون (92-897هـ / 711-1493م) مصدرا للعلم والحضارة، واستمروا كذلك حتى بعد اجتياح الأندلس من قبل الإسبان"⁽²⁾.

كما أن البعثات العلمية والرحلات من أوروبا إلى الأندلس وصقلية كانت كثيرة وهذا للاطلاع على العلوم المختلفة عند العرب.

2-1-3) الحروب الصليبية:

أثناء الحروب الصليبية وجد الأوروبيون أنفسهم في سوريا ومصر وفلسطين تجاه مدينة رفيعة ومتقدمة، "فاستفادوا من مكوثهم في بلاد الشام، واطلعوا على طرف من مدينتها في ذلك الوقت، واستناروا، وكسبوا بعض المعلومات وأهم هؤلاء الانكليزي الذي

¹ - الحضارة العربية الإسلامية، د. سلامة صالح النعيمات وآخرون، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، د.ط،

2008 - 2009م، ص 372.

² - المصدر نفسه، ص 372.

سبق أن ذكرنا اسمه وهو أديلارد من باث فقد أقام نحو من سبع سنين في إنطاكية وطرطوس وبيت المقدس.

لقد قامت في مدينة سالرنو مدرسة للطب، وبدأ تأثير العرب في هذه الأخيرة يتضح ولاسيما بعد أن أصبح من جملة المدرسين فيها قسطنطين الإفريقي الذي كان يعرف اللغة العربية واليونانية واللاتينية؛ فقد ترجم عن العربية كتباً كثيرة ولاسيما الطبية فأثر ذلك في مدرسة سالنو وتعرف إذ ذاك الأوروبيون وجوه الطب العربي ولم يكن قسطنطين طبيباً حق وإنما يرجع فضله إلى الكتب التي ترجمها"⁽¹⁾.

2-1-4) صقلية:

لما استولى العرب على صقلية تركوا لأهلها عاداتهم وقوانينهم، وعلموا أهلها صنع الحرير، ونقلوا إليها علومهم وصناعاتهم وعاداتهم وآدابهم؛ وعندما استولى النورمان عليها تأثروا بالحضارة العربية فيها. "فقد شجع الملك روجر (ملك صقلية) النهضة العلمية وذكر الصفدي أنه كان محباً لأهل العلوم والفلسفة، وأن الإدريسي كان يجيء إليه راكباً بغله، فإذا صار عنده تنحى له عن مجلسه فيجلسان معاً"⁽²⁾. وهذا يدل أن روجر كان معجباً بالحضارة العربية.

لقد كان بلاط النورمان في صقلية يجع بالعلماء المسلمين، حيث تم نقل علوم ومعارف المسلمين إلى الإيطالية مما أدى إلى نقل الحضارة العربية الإسلامية وتراثهم إلى دول أوروبا.

¹ - ينظر: تاريخ الحضارة العربية، محمد الخطيب، ص ص 201 - 202.

² - الحضارة العربية الإسلامية، د. سلامة صالح النعيمات، ص 378.

2-2) شهادات الغربيين بفضل الحضارة العربية الإسلامية:

في الوقت الذي كانت الحضارة العربية الإسلامية في أوجها، وكان العرب قد أضافوا الكثير كما أسلفنا سواء في مجال الطب أو في مجال الأدب أو في غيره من المجالات في ذلك الوقت كانت أوروبا تعيش في غياهب العصور الوسطى، وقد نخرت في عظامها الحروب، ولذا كان اختلاط العرب بالأوروبيين اختلاط قتال في البدء ثم تحول إلى اختلاط حضارة وثقافة وأفكار بعد ذلك.

ولقد تعددت الطرق التي سلكها التراث العربي الإسلامي إلى الغرب، فقد غزت النهضة العربية عقول الأوروبيين وأفهامهم فاختلفت ردود أفعالهم تجاهها بين مقاومة عنيفة، أو اندماج معها والمساهمة فيها. فكيف تمت عملية الإخصاب بين المفكرين العربي والأوروبي؟

لقد تفاعلت حضارتنا العربية مع حضارات الأمم الأخرى، و"أخذت منها واثرت فيها وتأثرت بها، فهي ثقافة مفتوحة على العالم، ولا تخش على نفسها تلك الحضارات، لأن المعتقد الإسلامي يصهر جميع الأمم والشعوب في بوتقة الإسلام، وكل العلوم تتناقلها الأمم والشعوب منذ الأزل وهذا لا يعيب الأمة أن تأخذ من غيرها، لأن العلم لا يبدأ عند أمة من الأمم من الصفر، بل هو استمرار لجهد الآخرين. والنماذج الآخرين، والتمازج الحضاري بين الأمم معروف منذ الأزل"⁽¹⁾.

إن تاريخ الإسلام الحضاري لا يمكن أن يكون محل شك من أحد، إنه واضح ووضوح الشمس في ريعان النهار، إنه حق كما أن الإسلام الذي قام عليه حق.

¹ - حضارة العرب في صدر الإسلام، حسين الحاج حسن، مجد المؤسسة، ص 219.

"ولقد بهر تاريخ الإسلام الحضاري العلماء والباحثين والمفكرين في أوروبا، وأخذوا على الرغم من تعصبهم الديني، ومحاولتهم تزييف الحقائق والتاريخ يمجدون حضارة المسلمين وينوهون لها، ويثنون عليها، ويعلمون من منزلتها بين الحضارات إلى حد يثير الإعجاب، ويدعون إلى الفخر وإلى ما يبعث على الكبرياء.

لقد صاح "بترايك" الشاعر الإيطالي من القرن الرابع عشر الميلادي (1334هـ - 1374م) حين رأى تفوق العرب في الميدان الحضاري والثقافي، وعجز أوروبا عن اللحاق بهم في هذا المضمار قائلاً: "يا عجباً!! لقد استطاع شيشرون أن يكون خطيباً بعد ديموستين. واستطاع فيرجل (19ق.م) أن يكون شاعراً بعد هوميروس، فهل قدر علينا ألا نؤلف بعد العرب؟ لقد تساوينا نحن والإغريق وجميع الشعوب غالباً. وسبقناها أحياناً، إلا أن العرب فما لعبقرية إيطالية النائمة الخاملة؟"⁽¹⁾.

وإلى جانب بترايك، نجد من بين المهورين بعظمة الحضارة العربية الإسلامية غوستاف لوبن في كتابه "حضارة العرب" حين قال بأن العرب كانوا يذلوننا بأفضلية حضارتهم العربية الساحقة، ونحن لم نتحرر من نفوذهم إلا بالأمس. وهناك "مسيولييري" الذي اعترف قائلاً: (لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوروبا عدة قرون)⁽²⁾. وهذا العلامة سيديو Sédillot في كتابه تاريخ العرب يقول: "كان المسلمون في القرون الوسطى متفردين في العلم والفلسفة والفنون وقد نشروها أينما حلت أقدامهم، وتسربت عنهم إلى أوروبا. فكانوا سبباً لنهضتها وارتقاءها"⁽³⁾.

¹ - الإسلام والحضارة الإنسانية، د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني - بيروت، د.ط، 1982، ص 163.

² - ينظر: المصدر نفسه، ص 165.

³ - مقومات الحضارة الإنسانية في الإسلام، حسن رمضان فحلة، ص 211.

وإلى جانب هؤلاء نجد المؤرخ "رينو" في كتابه تاريخ غزوات العرب "تعترف بفضل العرب على حضارات أوروبا قائلًا: إن النهضة الحقيقية في أوروبا لم تبدأ إلا منذ القرن الثاني عشر الميلادي، حيث أفاق الفرنسيون والإنجليز والألمان من رقدتهم، وفضوا عنهم غبار الخمول، ووجدوا ضرورة الاشتراك في الحضارة العربية، فأخذ المسيحيون في فرنسا يؤمنون إسبانيا لترجمة الكتب العربية وأصبح العرب الأمثلة العليا للشجاعة والشهامة وعزة النفس ومكارم الأخلاق"⁽¹⁾.

وأشار المفكران "لايس ولامبو" في كتابيها: التاريخ العام بالحضارة العربية وآثارها، وقالوا: "إذا وجد أن يذكر لكل واحد قسطه من العمل، لا يسع المنصف أن يذكر قسط العرب منه كان أعظم من قسط غيرهم، فلم يكونوا واسطة نقلت إلى الشعوب المتأخرة في إفريقيا وآسيا وأوروبا اللاتينية معارف الشرق الأقصى وصناعاته وإختراعاته، بل أحسنوا استخدام المواد المبعثرة التي كانوا يلتقطونها من كل مكان ومن مجموع هذه الموارد المختلفة التي جلبت فتمازجت نماذج متجانسة أبدعوا حضارة حية مطبوعة بطابع مقترحاتهم وعقولهم، وهي ذات وحدة خاصة وصفات قائمة"⁽²⁾.

إن هذه الشهادات التي قدمها علماء الغرب على مدى ما قدمته الحضارة الإسلامية للناس لحافزا لنا للمضي قدما كما كان سلفنا الصالح. فكيف كان تأثير العرب المسلمين في الغرب من الناحية الأدبية؟ ومن الأدباء الأكثر شغوبا بالحضارة العربية؟

¹ - نظم الحضارة العربية الإسلامية، إبراهيم علي السيد القلا، ص 265.

² - المصدر نفسه، ص 265 - 266.

2-3) أثر الأدب العربي الإسلامي في الأدب الأوروبي:

تأثر الأدب الأوروبي في العصور الوسطى وبداية العصر الحديث تأثراً واضحاً بموضوعات الأدب العرب، ذلك أن الأوروبيين لم يجدوا ما يشفي إليهم في الآداب المعاصرة التي أعوزها الخيال الخصب، فاتجهوا شطر الأدب العربي المعروف بالخصوبة والإبداع. وهذا جب يقول: "إن خير ما أسدته الآداب الإسلامية لآداب أوروبا أنها أثرت بثقافتها وفكرها العربي في شعر العصور الوسطى وثرها"⁽¹⁾.

فعندما أعطى العرب أدبهم لأوروبا أعطوهم شعراً عربياً خالصاً. لم ينتقل الشعر إلى أوروبا عن طريق الترجمة إنما عن انصهار سكان جنوب غرب فرنسا وجنوب إسبانيا وصقلية في بوتقة الحضارة العربية من خلال المساجد الإسلامية، ومجالس الأدب العربي التي كان يعقدها الخلفاء على عاداتهم العربية. "والمعروف أن الأندلس إمتازت بنوع خاص من الشعر الرقيق بدا واضحاً في صورة الموشحات والأزجال، ويمتاز هذا اللون من فنون الشعر العربي بصدق تمثله لنفسية الإنسان وخواطره، وإنما نجد لونا متشابهاً لهذا الشعر الأندلسي يظهر في شمال إسبانيا وإقليم بروفانس بجنوب فرنسا ومن ثم شق طريقه إلى مختلف الدول الأوروبية وبخاصة إيطاليا، بل إن بعض العلماء أثبتوا أن غزل الفروسية الذي انتشر بعد ذلك في ألمانيا متأثر إلى حد كبير بأشعار التروبادور التي تغنى بها فرسان فرنسا". وواضح أن الأوروبيين إشتقوا هذا الاسم من كلمة طروب العربية.

ومما لا شك فيه أن الحضارة العربية قد تأثرت في أوروبا: "وذلك باهتمام الأوروبيين بالدراسات والكتب العربية الأدبية وبصفة خاصة القصص ومنها "كليلا ودمنة" وقد وصلت إلى أوروبا عن طريق الترجمة أيضاً وفي مقدمة القصص الفلسفية الصوفية التي أثرت في

¹ - تاريخ الحضارة العربية، محمد الخطيب، ص 303.

أوروبا قصة "حي بن يقضان" لابن طفيل (ت1095م) وهي تهدف إلى التوفيق بين الفلسفة والدين"⁽¹⁾.

وقد لاحظ الباحثون أوجه شبه واضحة بين القصص العربي الخيالي وذلك مثل "قصة إيزولد ذات اليد البيضاء، وقصة فلورا والزهرة البيضاء. وتتضح الروح العربية في القصة الأخيرة بوجه خاص وهي شديدة الشبه بالقصة الشائعة "القاسم ونيقولت" التي لا يرقى الشك إلى أصلها العربي، كما هو واضح من اسم بطلها "القاسم"، ولا عجب فالعرب كما يقول لوبون هم اللذين ابتدعوا روايات الفروسية في الأدب"⁽²⁾.

وقد تأثر الأدب الإسباني في مجال الشعر والقصة بالأدب العربي على مستوى الشكل والمضمون معا، "فبعد أن ترجمت قصص العرب بمختلف ألوانها وأشكالها، ومنها كلية ودمنة التي ذكرناها آنفا والسندباد وغيرها. أخذ الكتاب الإسبان يقلدونها في شكلها وفي مضمونها الأخلاقي على وجه الخصوص ويؤكد هذه الحقيقة قول بالنتيا: "كان أول ما ذاع في بلاد النصارى أثناء العصور الوسطى من القصص المستقي من أصول عربية هو كتاب "تعليم رجال الدين" الذي يورد فيه ثلاثا وثلاثين أقصوصة شرقية، ويطبقها على نحو يناسب تعليم أهل الأدب"⁽³⁾. والدلائل تشير على أنه كتب كتابه هذا أول الأمر باللغة العربية، ثم ترجمة بنفسه إلى اللاتينية.

أما الشعر الإسباني فيذهب الأب خوان أندريس في القرن الثاني عشر: "إلا أنه نشأ أول أمره تقليدا لشعر العرب؛ ثم يستطرد مع تفكيره ويقول أن صور هذا الشعر

¹ - في تراثنا العربي الإسلامي، توفيق طويل، عالم المعرفة، الكويت، ط1، 1985، ص 206.

² - تاريخ الحضارة العربية، محمد الخطيب، ص 206.

³ - ينظر: في الحضارة العربية الإسلامية، الربيعي بن سلامة، ص 86.

العربي وقوالهم إنتقلت إلى بروفنسال عن طريق الصلات المتبادلة بين الفرنسيين والإسبان (نصاري ومسلمين) وتجوال الشعراء المنشدين المعروفين "باتروبادور" فنشأ الشعر البروفنسي على أساس من الشعر العربي، ويقول: "إن هذا الشعر البروفنسي إنما ينتسب إلى العرب أكثر مما ينتسب إلى اليونان واللاتين وقد أورد بالنثيا العديد من النماذج التي تأثر فيها الشعر الإسباني والشعر البرتغالي بالشعر العربي وبخاصة الموشحات والأزجال في محاضراته التي ألقاها في المعهد الإسباني ونشرتها المجلة الإسبانية الحديثة في عددها الثاني سنة 1935 وهي بعنوان "الشعر الأندلسي وتأثيره في الشعر الأوروبي" وقد ترجمها الدكتور الطاهر أحمد مكي ضمن كتابه "دراسات أندلسية"⁽¹⁾.

وقد وُلع نصاري الإسبان بالأدب العربي ووجدوا فيه لذة كبرى خاصة في قراءة الشعر والحكايات.

ففي بلاد الشرق كان تأثيرا لعرب كثيرا في الفرس وغيرهم "فقد تتقف هؤلاء بالثقافة العربية واعتنق أكثرهم الإسلام وتعلموا العربية وكتبوا بخطها العربي، وغير الفرس أساليب نظمهم وشعرهم واقتبسوا الأوزان العربية وقضى علم العروض العربي على الأساليب الفارسية القديمة وأصبح للعربية مكانة محترمة في أدب الفرس حتى اليوم. ويظهر أن تقدم العرب في العلوم بلغ درجة أذهلت الأوروبيين في القرون الوسطى حتى قر في أذهانهم عدم إستطاعتهم اللحاق بالعرب أو مظاهاتهم واستحالة الاستغناء عن اللغة العربية في الشؤون الفكرية"⁽²⁾.

كيف لا واللغة العربية هي لغة القرآن وستبقى خالدة بإذن الله.

¹- المرجع السابق، ص 86.

²-أصالة الحضارة العربية، ناجي معروف، ص 391.

وهكذا أثر الأدب العربي في القصص الأوروبي ليس في العصور الوسطى بل الحديثة أيضا.

ولم تنقطع الصلة بين الأدب العربي الإسلامي والآداب الأوروبية إلى يومنا هذا فيما يرى العقاد ويشهد بهذا "أننا لا نجد أدبيا واحدا من نوابغ الأدباء عندهم خلا شعره أو ثثره من بطل إسلامي أو نادرة إسلامية ومنهم شكسبير وأديسون وبيرون وسوندي وكولردج وشلي بين أدباء الإنجليز، ومنهم جيتي وهردر ولسنغ وهيتي من أدباء الألمان، ومنهم فولتر ومنتسكيو وهيغو بين أدباء الفرنسيين، ومنهم لافونتين الفرنسي صرح باقتدائه في الأساطير بكتاب كليلة ودمنة الذي عرف عن طريق المسلمين"⁽¹⁾. ومهما يكن فإن تراث العرب العظيم يؤلف أفضل مصدر لتاريخ الأمم في العالم.

وخلاصة القول بأنه لولا العرب وحضارتهم ويقظتهم الفكرية لم يكن بالإمكان معرفة حضارات الأمم التي سبقتهم ولا إيصالها إلى العالم الحديث مع النتاج العربي الأصيل، والتراث الإسلامي العظيم.

¹- أثر العرب في الحضارة الأوروبية، عباس محمود العقاد، دار النهضة، مصر، ط2، 1998، ص 59.

الفرق بين الزراعة

أثر ألف ليلة في الخراب

"فولتير و فوته"

نموذجاً

الفصل الثاني: أثر ألف ليلة وليلة في الغرن "فولتير و غوته" نموذجاً

لقد برع العرب في الحكايات وأبدعوا فيها أيما إبداع وقد اقتبسوا هذا الفن من الفرس وتمكنوا منه حتى جاروهم فيه وبلغوا أعلى درجات الشهرة، ونخص بالذكر الحكايات الشعبية.

جاء في المعاجم الإنجليزية بأنها حكايات يصدقها الشعب بوصفها حقيقية، وهي تتطور مع العصور فتداول شفاهها، كما أنها قد تختص بالحوادث التاريخية أو الأبطال الذين يصنعون التاريخ.

أما التعريف الدقيق والأنسب للحكاية الشعبية فإنها شكل من أشكال التعبير الشفوي، تسرد سلسلة من الأحداث المتخيّلة، وتفترض وجود راوٍ يقوم بقص هذه الأحداث.

ومن بين الحكايات التي تفتن فيها العرب وذاع صيتهم بها نجد ما اشتمل عليه كتاب "ألف ليلة وليلة" الذي أصبح عنواناً عريضاً من عناوين الأدب العربي وأثرا خالداً من آثاره.

"ألف ليلة وليلة" حكاية خرافية شفوية في الأصل، تتميز بحضور الراوي صراحة فيها، وتوجهه المباشر إلى القارئ هذا ما يفسر محافظتها على صيغة واحدة للبداية "كان يا

مكان " وللنهاية «...وعاش في سبات ونبات وولدا صبيان وبنات» مكانها من نسح الخيال، شخصياتها بشرية من الواقع أو خرافية تنتمي إلى أعمال وطبقات اجتماعية مختلفة⁽¹⁾.
فما سرّ هذا الكتاب، حتى ولع العرب والغرب به ونسجوا على منواله العديد من الحكايات.

(1) التعريف بكتاب " ألف ليلة وليلة":

"ألف ليلة وليلة" أو " الليالي" كما اصطلح على تسميته في بعض الدراسات المعاصرة، حكايات متداخلة ومتنوعة فيها قصص الحب والمغامرة والتواذر التاريخية والمقطوعات الفلسفية والأخلاقية، كما تعدّ هذه الحكايات تشكيلة وفسيفساء عجيبة لعالم سحري، وغرائبي أخذ، جمع بين طياته ألوانا من البشر والجن والأرواح تعيش في محيط من القصور، والدور مزينة باللؤلؤ والزّبرجد والياقوت، بالإضافة إلى ذلك حملت لنا أخبار الملوك والسلاطين والحكم والأمثال، وأعاجيب الجن إلى درجة الإبهار.⁽²⁾

فهذا الكتاب مجموعة من الحكايات المنفصلة عن بعضها، قد تكون الحكاية واحدة من البداية إلى النهاية، وقد تتخللها حكايات ثانوية، وهذه الحكايات يتم روايتها في كل ليلة.

¹ - wikipedia الموسوعة الحرة، org. www. wikipedia.

² - ينظر: الاغتراب في حكايات " ألف ليلة وليلة" الأستاذ شريف موسى عبد القادر، مذكرة ماجستير في الأدب الشعبي،

تلمسان(1996-1997)، ص 10

الفصل الثاني: أثر ألف ليلة وليلة في الغرن "فولتير و غوته" نموذجاً

حيث كانت شهرزاد تقوم برواية الحكاية في كل ليلة لشهريار لتقطع عند الفجر وتتمها في الليلة الموالية، حتى أصبح العدد ألف ليلة وليلة واحدة .

تباينت لغة الحكايات بين الفصحى والعامية، حيث نجد الكثير من اللهجات المتداولة، من بينها اللهجة المصرية، كما يتخللها شعر مصنوع في نحو عشرين وأربعمئة بعد الألف مقطوعة .

ويشكل مفهوم التعاليم الإسلامية عنصراً بارزاً، فانه يتحكم في أغلب أبطال قصص "ألف ليلة وليلة" إذ نجد اثر القرآن الكريم والسنة النبوية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية وأثناء الحروب مثل حكاية "غريب وعجيب وسهم الليل" في الجزء الثالث من الكتاب⁽¹⁾ .

كما طغى العنصر النسوي في هذه الحكايات، فالمرأة هي المحرك الأساسي، كما نجد نساء من الجنّ يعشن كالنساء العاديات في الحب والكراهة⁽²⁾ .

بالإضافة إلى ذلك نلاحظ على أكثر القصص سيطرة بيئة التجار المتصلة بطبقة الحكام من جهة وبطبقة الفقراء من جهة أخرى، مثل حكاية " سيف الملوك وديعة الزمان"⁽³⁾ .

¹ - ألف ليلة وليلة، دار الكتاب الحديث، لبنان، د.ط، 2011، ص 614.

² - المصدر نفسه، ج 2، ص 584.

³ - ينظر: المصدر نفسه، ج 3، ص 391.

الفصل الثاني: أثر ألف ليلة وليلة في الغرن "فولتير و غوته" نموذجاً

ومن الأمور التي طغت أيضا في هذه الحكايات ظاهرة السّحر، الذي بلغ شأنًا عظيمًا، لم يبلغه في كتاب آخر والسبب في ذلك تلك الحضارات القديمة، حيث أن قصور العلم يومئذ أحدث فراغا في الذهنية الشرقية الخضبة التي أقبلت على السّحر والغيبيات لتكتمل بها صور الحياة⁽¹⁾. وتشكل الطبقة عنصرًا مهمًا في حكايات "ألف ليلة وليلة"، ولكنها لم تمنع تحقيق التعاون والمضيّ نحو المستقبل⁽²⁾.

¹ - ينظر "ألف ليلة وليلة" تحليل سيميائي تشكيكي لحكاية "جمال بغداد" عبد المالك مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، دط، 1993، ص07.

² - ألف ليلة وليلة، الجزء الأول، ص16.

(2) أصل كتاب "ألف ليلة وليلة"

إنّ البحث عن أصل هذا الكتاب من الأمور الشاقة، فإذا كان بعض النقاد يميلون ويجمعون أنّ أصل الكتاب فارسي، فإنّ البعض الآخر يرى أنه هندي مع التنويه بفضل الفرس فيه. ومن الذين ينسبونه إلى الفرس "ابن النديم" الذي قال في كتابه الفهرست: "ونقله العرب إلى اللغة العربية، وتناوله الفصحاء والبلغاء، فهتّوه ونمّقه، وصنّفوا في معناه ما يشبهه..."⁽¹⁾.

كما أشار المسعود (ت 346هـ)، في كتابه "مروج الذهب" إلى الكتاب فقال: "وسيل تأليفها ممّا ذكرنا مثل كتاب "هزار أنسانة"، وتفسير ذلك، من الفارسية إلى العربية (ألف خرافة) والناس يسمّون هذا الكتاب "ألف ليلة وليلة"⁽²⁾، فإنّه بذلك ينفي انتماء هذا الكتاب إلى العرب، حيث أدرجه ضمن الكتب المنقولة إلينا والمترجمة من الفارسيّة والهنديّة والرومية " في حين يؤكّد المستشرقون في دراساتهم انتماءه للعرب، لأنّ هناك وقائع استندوا إليها بواسطة تحليلات نصيّة، إذ نجد الناقد "ماكدونالد" الذي يؤكّد بأنّ الكتاب ذو أصلين (الفارسي والعربي) فبعد دراسته وتحليل مخطوطات الكتاب المتوفّرة لديه يجزم بأنّه مرّ بمراحل أساسية:

¹ - ينظر الفهرست، ابن النديم، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1997، ص369.

² - ينظر مروج الذهب، المسعودي، دار الأندلس، بيروت، ج2، د.ط، 1973، ص 251.

✓الأصل الفارسي (هزاز أفسانه)

✓الترجمة العربية للأصل.

✓إضافة حكايات ذات أصل عربي.

✓الليالي التي كتبت في العصر الفاطمي. نص "مخطوط أنطوان جالان" مترجم

الكتاب إلى اللغة الفرنسية في بداية القرن الثامن عشر⁽¹⁾.

فإنّ هذا الكتاب لم يبقى على حالته الأولى إنّما أضيفت إليه إضافات في العصر-

العباسي في عهد الخليفة المنصور، كما أضيفت إليه إضافات أخرى فيما تلاه من عصور،

حتى سلاطين المماليك في مصر.

والمتفق عليه بين الباحثين أنّ "ألف ليلة وليلة" تختلف أصولها من حيث الوطن

والعصر والمؤلف، فالكتاب ليس لمؤلف واحد، ولم يكتب في بلد واحد أو زمن واحد، ولم

يدر ما اسم الكتاب، فليست هناك دلائل وقرائن على هذا الأمر، اللهم إلا ما أطلق عليه

بالفارسية (هزاز أفسانه) ولعل المعنى الحقيقي لهذا هو ألف خزافة، لكن تداوله بين العامة

والخاصة دفعهم إلى إطلاق اسم "ألف ليلة وليلة" بدلا عن ألف خزافة"، لتتلاءم حكاياته

مع أسطورة شهرزاد ابنة الوزير والملك شهريار وجارتها دنيازاد والكتاب يرجع في أصوله

¹ - ينظر: "ألف ليلة وليلة" في الترجمة الفرنسية، فيدوح يمينة، مذكرة ماجستير، كلية الأدب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الثقافة الشعبية، 2001، ص15.

إلى ثلاثة شعوب، هي الهندية والفارسية ثم العربية، وبه أيضا العديد من الحكايات التي ترجع لهذه الشعوب بالثلاثة.

« قد ترجمه العرب من الفهلوية إلى العربية آخر القرن الثالث للهجرة، ثم دعاهم الإعجاب به إلى توسيعه وتفريعه فأضافوا إليه ما شكله من أساطير العرب والهنود واليهود وأخبار الخلفاء والأمراء والفرسان والأجواء في الجاهلية والإسلام، وبقي بابه مفتوحا للزيادة عليه حتى القرن العاشر للهجرة، فتكامل نقصانه واستتم بنيانه، وتضاءل ما فيه من وضع الفرس حتى فني فيما وضع العرب من أقاصيص الجان ومخاطر الشجعان ونجوى الهواتف وأعمال السحرة، التي تستهوي القلب و"تشهد الخاطر وتخصب الخيلة"⁽¹⁾.

أما فيما يخص الحكايات العربية فهي موزعة بدورها إلى حكايات بغدادية ودمشقية ومصرية، إلا أن الروح المصرية تظهر قوية، وذلك لأن مصر- كانت المحطة الأخيرة لليالي، حيث تمّ فيها وضع الكتاب بشكله النهائي من حيث الصياغة والقصص المضافة"⁽²⁾. فإننا نلمس ذلك بوضوح في مزية الكتاب فهو "تمثيلة لأخلاق العرب والمسلمين وعاداتهم وأنظمتهم في العصور الإسلامية الوسطى بالعراق ومصر والشام مما يفيد الكاتب الاجتماعي والفيلسوف المؤرخ ومن ثمّ عني به الفرنج عناية خاصة فترجموه إلى لغاتهم، وأفردوه

¹ - تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، دار النهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ص395-396.

² - موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية (الحضارة الإسلامية)، دار الفكر الإسلامي، مجموعة من المؤلفين، القاهرة، م5،

الفصل الثاني: أثر ألف ليلة وليلة في الغرب " فولتير و غوته " نموذجاً

بأبحاثهم. أمّا إنشاؤه فمختلف باختلاف الأعصر، والأقاليم فأخبار العرب ونوادير الخلفاء وما ترجم في الصدر الأول تغلب فيه الصحة والفصاحة، وأمّا ما وضعه القصاصون المتأخرون من عامة مصر- والشام فريك العبارة، عامي الألفاظ، مبتذل التركيب، إلا أن مساق الأحاديث جيّد، ورباط الحوادث متين «⁽¹⁾.

وخلاصة القول أن كتاب "ألف ليلة وليلة" عبارة عن قصص شعبي له أصوله الهندية والفارسية إلا أنه عاش في البلاد الإسلامية فتأثر بثقافتها وبيئتها، فأعطى بذلك مزيجاً من الحكايات المتعددة المناحي والميول لجنسيات مختلفة، تجد فيه السلس المغربي والوعر السوقي البليد.

وهذا ما يدفعنا إلى الاعتقاد، بما ذكرنا آنفاً من أن قصص الكتاب لمجموعة من

المؤلفين.

¹- تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، ص 396.

(3) السرّ في خلود هذا الكتاب:

"ألف ليلة وليلة" كتاب خالد، جمعت حكاياته تجارب متنوعة بحيث انصهرت فيها حضارات مختلفة كما سبقت الإشارة إليها، ولذلك عاجلت قيماً متعدّدة، فطبعت الليالي بطابع إنساني متكامل، يمتزج فيه الخير بالشرّ- والجمال بالقبح، والحبّ بالكره، والحزن بالفرح، والوفاء بالخيانة، والظلم بالعدل، لتتنصر- قيم الخير والحقّ والجمال والحبّ، إنّها لا تفتأ تتردّد بين الممكن والمستحيل المألوف الخارق، اليومي والجديد، فيتداخل فيها الافتراض التخيلي بالواقعي التاريخي بشكل يمتزج فيه الغرابة بالألفة فيثير الدهشة⁽¹⁾.

فهو كتاب مسّّل، ممتع جذاب، حيوي، لا تكاد تمسكه حتى تأتي عليه رغم ضخامة حجمه، ففيه من الروعة والأسطورة المحبّبة إلى النفس، السّابحة في أجنحة الخيال الشاسع ما يغري ويغني ويكشف عن قيم في الحياة والمجتمعات.

إنّه نسيج من الرّوعة، تأخذك أقاصيصه إلى عوالم من السّحر والمتعة لا توصف، فلا تعقيد ولا تصنّع ولا تكلف، إنّها أداء قصصي- بسيط واضح خلاّب، في رداء من العبارات الشعبية السّائدة، ترفرف فيه أجنحة الخيال على بساط الرّيح والمارد والقمم والسّحر والشعوذة، والجنّ والعفاريت، والخوارق والأعاجيب، وخاتم لبيك، وفي مسح

¹ - تجليات العجيب في حكايات "ألف ليلة وليلة" ليلي حوماني، مذكرة ماجستير في الأدب الشعبي، تلمسان، (2003-

الفصل الثاني: أثر ألف ليلة وليلة في الغرن "فولتير و غوته" نموذجاً

شامل لكل أخبار الكون ومن فيه وما فيه، والحياة وما يكتنفها ويعتصر- فيها، بحيث أنه على شكل موسوعة شاملة جميلة، تضم سيلا من النواذر المسلية والأشعار الجذابة الموحية، وأقاصيص من أخبار الشعراء والمطربين، زادت في أماكنها بغية الترويح عن النفس، علاوة على أخبار الملوك والوزراء والولاة والإنس والجان والحيوان وشتى الأجناس والأصناف البشرية، فهذا الكتاب بستان معارف وعلوم.

فإنه كتابٌ فذٌّ، تراثي شعبي، دخل قلوب الخاصة والعامة لبساطة أسلوبه ورشاقته قصصه واستجابتها لنزوع النفس الإنسانية نحو الأساطير والخيالات التي يصعب ويستحيل تحققها في الواقع، فيراها الإنسان في ماريح الأحلام والأفكار السابجة في أجواء المفردات⁽¹⁾.

فلقد وجد الإنسان في غرائب "الليالي" وخروجها عن المؤلف أمرا مثيرا ومفرحا، كما وجد في ذلك الخيال الجامح الذي تفيض به تلك الحكايات متنفسا، إذ سدّت رغبته إلى الغريب والمدهش والعجيب وأشبعته، فكانت أجواء الليالي تميّ مخيلته وتخصّبها وتشحنها بصور أغزر وأوسع، بحيث تجعله يحلم أو يتوقع أنّ خلف هذه الحكايات يقع الجديد واللامرئي واللامتوقع، ولذلك انجذب إلى تلك الهالات الغير مرئية المنبعثة من أجوائها، وإلى ذلك السحر الغريب والتصوير المثير لعالم يوقر العجب وييسر- التمنيّ، فعالم "الليالي" هو عالم تحقيق الرغبات والأحلام. فقراءة "ألف ليلة وليلة" هي فعل استغراقي في عالم

¹ - ألف ليلة وليلة، ج1، ص5-6.

الأحلام والرغبات ولذلك ظلّت نصوص "الليالي" التي ترحل بالإنسان إلى مناطق خيالية مجهولة لم تعرفها الخبرة الإنسانيّة، قادرة على مخاطبة القارئ التي تتغير ثقافته وظروف حياته وأنواع نشاطاته، وتبدّل اهتماماته لأنّ تنوعها يبقى التّوق والتّوقع متجدّدين باستمرار شأنها⁽¹⁾.

ولذا دوّى صيت هذا الكتاب في العالمين شرقه وغربه، ولا يكاد يختلف اثنان في أنّ هذا الأثر الفريد من نوعه في التاريخ الأدبي للعالم، فهو⁽²⁾ من أروع ما أنتجه الفكر البشري.

ومهما يكن فإنّ حكايات "ألف ليلة وليلة" ذاع صيتها في العالم، ولا زالت تلقى اهتمام التّقاد والمؤلفين، والباحثين في هذا الأدب، لأنها تشكّل أثراً خالداً وفريداً في الفكر الإنساني وكذا مصدراً من مصادر الإبداع الأدبي من رواية، وقصة، ومسرح، وأبرات. نجد ذلك جلياً عند بعض الباحثين مثل سهير العلماءوي التي كتبت مجموعة قصصية "أحاديث جدّتي" مستلهمة من أحاديث شهرزاد⁽³⁾ وفي الأدب العربي شكّلت أيضاً الليالي منبعاً من منابع الإبداع، لا تزال تنهل منه هذه الكتابات "فغوتة" "تأثر بألف ليلة وليلة" فحكت قريحته

¹ - تجليات العجيب في "ألف ليلة وليلة"، ليلي حوماني، ص 03.

² - المرجع نفسه، ص 01.

³ - ينظر: العربي مجلة شهرية ثقافية عرب، وزارة الإعلام، الكويت، العدد 632، يوليو 2011، ص 90.

الفصل الثاني: أثر ألف ليلة وليلة في الغرب "فولتير و غوته" نموذجاً

وجعلته بيدع، فيكتب الليلة الثانية حيث تأتي شهرزاد لزيارة الكاتب طالبة منه إتقاذها بقصة جديدة لأنّ الملك لم يعف عنها⁽¹⁾.

كما ألف "إدغار ألانبو" قصة قصيرة عن الليلة الثانية بعد الألف، فيصوّر لنا شهرياً الذي يقتل شهرزاد، لأنها استمرت في القص المملّ وسئم واشتاق إلى النوم والاطمئنان. ولقد فتحت "الليالي" المجال أمام الأدباء والروائيين، ليشقوا طريقهم في عالم الكتابة الروائية، فهذا فولتر الذي يعرف، ويقرّ لم يزاول فنّ القص إلاّ بعد قراءة كتاب ألف ليلة وليلة أربع عشرة مرّة.

ولعلّ هذا كلّ دليل قاطع على أنّ كتاب "ألف ليلة وليلة" أحدث هزة في مجال الكتابة والتأليف، حيث تسارع إليها أدباء العالم الغربي، بعدما ترجمها "جالان" إلى الفرنسية.

¹ - ينظر: الاغتراب في ألف ليلة وليلة، شريف موسى عبد القادر:13/ عن ألف ليلة وليلة، سهر القلماوي، رسالة دكتوراه، دار المعارف، القاهرة، 1966، ص72.

(4) أثر ألف ليلة وليلة في الغرب:

"ألف ليلة وليلة" حكايات تمزج بين الحقيقة والخيال وقد لقت إقبالا من الجمهور الأوروبي منذ أن ترجمت سنة 1704 حتى ظهر لها في القرن الثامن عشر وحده أكثر من ثلاثين طبعة، ونشرت منذ ذلك الوقت أكثر من ثلاثمائة مرة بمختلف اللغات الغربية وإلى هذا القصص يرجع الفضل في إثارة روح المغامرة في الأوروبيين، تلك الروح التي لا بد منها لكل أدب شعبي، حتى اعترف الأستاذ "جب" بأنه لولا قصص "ألف ليلة وليلة" لما عرف الأوروبيين قصة "روبنسون كروز"، أو قصة "رحلات جلفر". ويضيف "جورج يعقوب" أن قصة روبنسون كروز "مأخوذة عن قصة "حي بن يقضان" التي كتبها فيلسوف الأندلس "ابن طفيل" والتي ترجمت إلى اللاتينية سنة 1271 وإلى الإنجليزية سنة 1708⁽¹⁾.

وهكذا نرى أن قصص "ألف ليلة وليلة" لم تؤثر في الأدب العربي وحده بل في الأدب العالمي وأصبحت ركنا أساسا فيه بفضل تلك الترجمات.

"لقد رأى الأوروبيون في هذه الحكايات تراثا هائلاً، وفنا جميلاً وخيالاً خصباً... وهي تصور ما وراء الأسوار العالية في حياة الخلفاء والملوك والأمراء والوزراء والتجار وما

¹- تاريخ الحضارة العربية، محمد الخطيب، دار علاء الدين للنشر، سورية، ط1، 2007، ص206.

الفصل الثاني: أثر ألف ليلة وليلة في الغرب "فولتير و غوته" نموذجاً

فيها من عوالم الجواري والجن والسحر والشياطين، عالم مثير في ثوب بالغ الجمال، فقد أثار الغرب وأدهشته تلك الحكايات العجيبة عن هذه الكائنات الأكثر غرابة التي تفوق قدرتها قدرة البشر... عالم الجن والشياطين وكيف يسخرهما الإنسان لتحقيق أهدافه ومراميه⁽¹⁾.

وقد كانت قصص ألف ليلة وليلة أيضاً منبعاً للإلهام كبار الأدباء والفنانين والشعراء... وفي الشرق والغرب على السواء وستظل هذه التحفة الأدبية التي لا تعرف لها مؤلف درّة غالية من درر التراث العربي، حتى وإن كان لها بعض الروافد الفارسية والتركية والهندية، إنّها صورة مشرقة للإبداع الشعبي الذي يعبر عمّا يمر به من صور الحياة، في مثل هذه الحكايات التي تلهب الخيال، وتثير الفكر بحثاً عن واقع جديد وحياة جديدة أكثر أملاً وتألّقاً وإنتاجاً، حتى وإن كان الوصول إلى هذا الواقع الجديد مخفوفاً بالمكارة والصعاب... فإنّه من الممكن تحقيق المستحيل⁽²⁾: و"ألف ليلة وليلة" جديرة بالدخول إلى كل بيت ليقرأها الأبناء وكل من يبحث عن الخيال والجمال والثقافة، فإلى أي مدى بلغ تأثير "الليالي" في أدب الغرب؟ ومن هؤلاء المفتونين بهذه التحفة؟

¹ - أجمال قصص ألف ليلة وليلة، بلغة عصرية، مأمون غريب، مركز الكتاب للنشر، ط1، 1420هـ-2000م، ص06.

² - المصدر نفسه، ص07.

1-4) تأثير ألف ليلة وليلة في الأدب الفرنسي:

لم يحفل العرب القدامى بـ "ألف ليلة وليلة" وكان المستشرقون الأوروبيون في القرن التاسع عشر، سباقين للانفراد بهذا الأثر الشعبي دراسة وتمحيصاً، فلقد بذلوا جهوداً كبيرة في إمادة اللثام عن أصوله ومصاره.

إنّ هذا الأثر العلمي الكبير، الذي أهمله العرب قروناً عدّة حظي باهتمام الغربيين وعنايتهم، بعد ترجمته إلى لغاتهم المختلفة في القرن الثامن عشر، ولعل من مظاهر تلك الخطوة ما اعترف به الأوروبيون من عظيم مكانته عندهم وتأثيره في أذواقهم، " والقارئ الأوروبي في هذا القرن، مدين في معرفته بالليالي إلى المستشرق الفرنسي- انطوان جالان (1715/1646) الذي قام لأول مرة في تاريخ أوربا الأدبي بترجمة الكتاب إلى اللغة الفرنسية، ما بين 1704 و1717 في اثني عشر مجلداً، ونالت هذه الترجمة نجاحاً باهراً راجت في كلّ أنحاء أوروبا، وظلت مدى قرن كامل الترجمة الوحيدة التي عرف بها العالم الغربي "ليالي شهرزاد" ⁽¹⁾.

¹ - أثر ألف ليلة وليلة في أدب فولتير القصصي / د. شريف عبد الواحد، مجلة الموقف الأدبي عدد 349، 2000، ص 56.

وقد كان من نتائج هذه الترجمة أن أثرت تأثيرات واضحة في الأعمال الفرنسية الكبرى، فبدأ الاهتمام ظاهراً في الوسط الفرنسي بحيث كانوا مدفوعين بغريزة التطلع والرغبة في الانعتاق من قواعد العقلانية المتشددة، والخروج من طوق الكلاسيكية الخانق. "لقد كان حضور "ألف ليلة وليلة" في الأدب الفرنسي- طاغياً واتسع ليتغلغل في أدق المكونات الأدبية فظهرت الأساليب الفرنسية متداعية بلغة مستوحاة من الحس العاطفي للمبدع ومن تعامله الطبيعي مع الأشياء، ومنبثقة من وجدانه دون مغالاة، وتخلص من التعالي الكلاسيكي وراح يستلهم قصص الشرق ورومانسيته الحاملة، وقد ألهمت هذه القصص خيال الفرنسيين خاصة والغربيين عامة، بعد ترجمتها إلى لغاتهم، وغرست عند كثير منهم حبّ الإطلاع والتشويق إلى زيارة الشرق⁽¹⁾.

يعد فولتير من الفلاسفة الفرنسيين المتأثرين بـ "ألف ليلة وليلة" في قصصه وخاصة الفلسفية، فلقد استمد منها مشاهدتها الشرقية، وتجاربها الاستثنائية الرائعة.

4-1-1) فولتير وألف ليلة وليلة:

فرانسوا ماري أوري Francois marie arouet، الذي عرفه العالم ككل باسمه الشهير فولتير Voltaire، فيلسوف وصحفي فرنسي- ولد في شاتنيه قرب باريس يوم 16

¹ - ينظر: "ألف ليلة وليلة" في الترجمة الفرنسية، فيدوح يمينة، رسالة ماجستير، ص 27-28.

الفصل الثاني: أثر ألف ليلة وليلة في القرن "فولتير و غوته" نموذجاً

فيفري 1694، من أسرة ميسورة الحال، كان والده أمين صندوق في ديوان المحاسبات ولا يعرف شيئاً عن أمّه التي توفيت وعمره سبع سنوات، عانى من المرض والضعف الجسمي ثمانية وثمانين سنة لم يدع فولتير حقلاً من حقول النشاط الأدبي والفكري إلا توغل فيه. وكان إلى جانبي ذلك جولة يكثر من رحلاته وأسفاره.

لقد اهتم فولتير بالأدب في وقت مبكر: لم يبلغ الثامن عشرة من عمره حتى كان ينظم الشعر بسهولة، ويكتب الرسائل النثرية بذكاء مفرط.

كتب فولتير ما بين 1747 و 1770 أكثر من عشرين قصة، والجليّ في الأمر "أن القلب الأدبي الذي صادف حظوة لدى فولتير في قصصه، هو قالب الرحلة المقرونة بترجمة حياة بطل من الأبطال. فهو يقص حياة هذا البطل في نزهة عبر العالم: ضروب من الخطف والمتابعة والسحر ومن جغرافيا خيالية، وأرواح وحيوانات غريبة وطلاسم⁽¹⁾.

والقصة عند فولتير، لم تكن غاية تطلب لذاتها وإنما وسيلة يبتغيها المفكر، ليصل بها إلى غرض من الأغراض الفلسفية سواء أكان هذا الغرض متصلاً بما وراء الطبيعة أو بالنظام الإجتماعي أو السياسي أو الديني، فكان يشعل النار في كل الأعداء والأشخاص

¹ - جستاف لانسون، فولتير، ترجمة محمد غنيمي هلال، القاهرة، أطلس، ص 165.

يضعهم في الخيال الطّيع المصور، كما في رواية "زدّيج" و "أميرة بابل" وأحياناً يتبع غاية ثابتة ويقصد إلى البرهنة على فكرة أو إلى تنفيذها كما في "ميكرو ميغا" و "جانووكولان"⁽¹⁾.

وما دامت القصة عند فولتير، وسيلة وليست غاية، فمن الطبيعي أن يكون الأشخاص الذين تجرى على أيديهم الأحداث وسائل لا غايات، فإذا عرض فولتير على القارئ شخصاً من الأشخاص الذين يعملون، أو يتأثرون في قصصه، فالذي يعنيه هو ما يصدر عن هذا الشخص من قول أو عمل، وما يلمّ به من خطب.

4-1-2) دراسة علاقة التأثير والتأثر بين فولتير وألف ليلة وليلة:

من المعروف أنّ فولتير اطّلع على ألف ليلة وليلة وتأثر بها، ولقد اعترف هو نفسه في عدّة مناسبات أنّه لم يصبح قاصّاً، إلّا بعد أن قرأ ترجمة غالان أربع عشرة مرة حيث قال: "لم أصبح قاصّاً إلّا بعد أن قرأت الليالي العربية أربعة عشرة مرّة... وكم أتمنى أن أفقد ذاكرتي حتى أستعيد حلاوة القراءة الأولى"⁽²⁾ فما الذي جعل فولتير ينجذب إلى ألف ليلة وليلة؟ إنه بلا شك وجد فيها مادة للسرد القصصي لا تنضب، ومضامين إنسانية غزيرة، وأساليب فنية جديدة، يقول طه حسين في مقدمة ترجمته لقصة "زدّيج أو القدر": "لقد مرّ بفولتير طور من أطوار حياته الأدبية قرأ فيها ترجمة ألف ليلة وليلة فشاقته وراقته ووجهته

¹ - المرجع السابق، ص 166.

² - ينظر: R.Pomeau la religion voltaire. Paris, nivet, 1969.

الفصل الثاني: أثر ألف ليلة وليلة في الغرن " فولتير و غوته " نموذجاً

إلى دراسة أمور الشرق فغرق في هذه الدراسة إلى أذنيه وأخرج للناس قصصاً شرقية بارعة كثيرة منها هذه القصة القدر⁽¹⁾. فواضح أن فولتير قد اتخذ قصته هذه كلّها وسيلة لنقد الحياة الأوروبية عامة والحياة الفرنسية خاصة.

من ممّا جال في خاطره أنّ " الليلي " تشكل مصدراً رئيسياً لرأفة فولتير " زدبج أو القدر " ⁽²⁾.

ومن منا كان يعتقد أنّ أميرة بابل مستلهم من " الليلي " واللآفت للنظر إنّ " فولتير " قد استعان بـ " الليلي " وأجوائها الشرقية من أجل بث أفكاره ودروسه في عصره. أحث الناس فيه العالم الشرقي وكل ما يمت إليه "بصلة" فاهتمام فولتير بهذه المجموعة لم ينصب على عالم الأحلام مثلما انصب اهتمام غوته، بل تركّز على الجانب الأسطوري بوصفه رداء شاع استعماله آنذاك في الحكايات التربوية. لقد كان الرجل يعمل من أجل برنامج الفلسفي. وكان غرضه من الاستعانة بشهرزاد هو تجسيد تعاليمه الأخلاقية بواسطة الحكايات وهذه النظرة كان رائداً في فن القص وهي نظرة تقف على النقيض من نظرة غوته ⁽³⁾.

¹ - القدر، فولتير، قصة شرقية نقلها إلى العربية د. طه حسين، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1965، ص08.

² - Jacques Van, Denheuevel, voltaire dans ses contes, paris, a colin : 1967,p183.

³ - غوته وألف ليلة وليلة، "كاترينا مومزن"، ترجمة أحمد المحمو، دمشق، 1980، ص711، 712.

إن ، إن الليالي قد حسنت في عين فولتير، واحتلت مكانة الصدارة في مكتبته كما يعترف هو بذلك، وأعجب بها إعجاباً فائقاً وتأثر بأجوائها ومضامينها في أكثر مصنفاته الفنية، ووظفها في القاموس الفلسفي في شرح مصطلح الخيال⁽¹⁾

3-1-4 محاكاة فولتير في قصته زدبج أو القدر لألف ليلة وليلة:

"زدبج أو القدر" لمؤلفها فولتير، قصة لَوْنَت بلون شرقي رائع وكسبت بردائه المعروف، فبطلها شاب بابلي مثقف محب للعدل والإنصاف، عانى الويلات في كل مكان. أما أحداثها فتجري في إطار شرقي عربي (بابل- مصر- البصرة-جزيرة العرب). تبدأ القصة بداية شرقية في أجواء تسيطر عليها قوى عجيبة، كما أن القصة لا تخلو من عنصر- التشويق إذ أن بطلها الذي تفرض عليها قوى غامضة الشقاء لا يكاد يخلص من محنة حتى يستعد لمواجهة أخرى، ولا يكاد يستقر في مكان حتى يضطر أن ينتقل إلى مكان آخر في عالم صحراوي شاسع⁽²⁾.

إنّ "زدبج أو القدر" الذي نسجت على منوال القصص الشعبي الشرقي- تحتوي على عناصر عدّة تشير إلى تأثير بترجمة "أنطوان جالان". لقد أراد فولتير أن يكتب قصة عن القضاء والقدر فلم يجد مصدراً أفضل وأهم من ليالي شهرزاد يقتبس منه الصور

¹ - Voltaire, dictionnaire philosophique/ imagination.

² - ينظر: القدر، فولتير، طه حسين.

الفصل الثاني: أثر ألف ليلة وليلة في الغرن "فولتير و غوته" نموذجاً

والناذج والموضوعات ويقتدي به في الكتابة: فنجد مجموعة من العناصر يمكن أن ترشد الباحث عن كيفية استفادة "فولتير" من حكايات شهرزاد.

أ/ إهداء الكتاب:

رسالة إهداء قصة زديج إلى السلطانة شهرزاد (sherra) من سعدي... يافتنة العيون وعذاب القلوب ونور العقل لا أَلثم غبار قدميك لأنك لا تكادين تمشين وإن مشيت فعلى زرابي إيران على الورود، وإليك أهدي هذه الترجمة لكتاب وضعه حكيم قديم أسعده الحظ بأن لم يكن له عمل يقوم به فسلي نفسه بإنشاء قصة زديج وهي قصة تعتبر أكثر مما يظهر أنها تعتبر فأتوسل إليك أن تقرئها⁽¹⁾.

« charme de prunelles, tourment des cœurs, lumière de l'esprit, je ne laisse point la poussière de vos pieds parce que vous ne marchez guère, ou que vous marchez sur des tapis d'Iran ou sur des roses, je vous offre la traduction d'un livre d'un ancien sage qui ayant le bon heur de n'avoir rien a faire eut celui de s'amuses a écrire l'histoire de tadic, ouvrage qui dit plus qu'il ne semble dire, je vous prie de lire et d'en juger »⁽²⁾.

¹ - القدر، مقدمة طه حسين، ص 09.

² - Zadig ou la destinée, voltaire condide et cyrano, p :01.

هذا هو نص الإهداء، الذي يرى فيه الباحثون أنه موجه لشهرزاد، الشخصية الموهوبة التي ألهمت المفكرين والأدباء إن كل ما في الإهداء يثبت أصول القصة الشرقية.

لقد اعترف فولتير في أكثر من مناسبة أنه مدين إلى حكايات ألف ليلة وليلة إلى علمته كيف يصبح قاصاً ولقنته دروساً في الفلسفة والاجتماع والأخلاق فلا تستحق بعد هذا كله رواية الليالي البتلة شهرزاد أن نهدي إليها قصة نسجها خيال أديب يكن لها إعجاباً.

ب/ الأبطال:

أبطال فولتير من طبقات مختلفة فمنهم "الملوك المستبدون اللذين لا يخالف لهم أمر ويجب التفاني في خدمتهم ومنهم الحكام ذوو الرأي السديد والقول المفيد يقعون دائماً في الشدائد ويتعرضون للأذية⁽¹⁾ والجواري اللواتي يفنين أعمارهن لإشباع رغبة السلاطين، ومنهم النساء الخائئات والفلاحون والعمال، وكذا فئة العبيد المسخرون لخدمة القصور، وكثيراً ما يخونون الملك مع محظياته وزوجاته⁽²⁾ وكل هؤلاء يتعرضون لمصاعب الحياة، ومتاعبها فمرة يسعدون ويفرحون ومرة يتألمون، وقوة القدر تتحكم في مصيرهم وتسيرهم كما تشاء

¹ - حكاية الحكيم "دوبان" الذي أبرأ ملك اليونان من البرص وأراد قتله لما وشى به الواشون وقالوا أنه جاسوس.
² - ورد في حكاية شاه زمان (فرجع ودخل قصره فوجد زوجته رافدة الفراش معانقة عبداً أسود من العبيد، ألف ليلة وليلة، ج1، ص 09.

ج / قطاع الطرق:

تصور قصة "زدبج أو القدر" شخصيات مختلفة من بينها قطاع الطرق وهم فئة ترمز إلى الحالة الاجتماعية التي تعاني العجز المادي والمعنوي، تعتمد هذه الشخصية إلى نهج يمكنها من التمتع بحقها في الحياة بكل حرية، تعيش ترفها ولذتها التي حرمت منها. جاء في "حكاية الجارية زمرد: بينما هو نائم، وإذا بلص من اللصوص خرج تلك الليلة إلى أطرف المدينة ليسرق شيئاً... فرأى "علي شار" نائماً، فأخذ عمامته... فتدلت له بالحبل ومعها خرج من الذهب، فلما رآه اللص قال:... ثم حمل الخرج، وحملها على أكتافه وذهب بهما مثل البرق الخاطف"⁽¹⁾.

وجاء في حكاية "عمر النعمان وأولاده: صادف قطاع الطرق سفناً عابرة البحر إلى بلاد أخرى، فسطر عليها فنهبوا وقتلوا... وهي متجهة إليه، وليس في سواحل ذلك البحر إلا رعاياه، فلما جهز المركبين سافر إلى أن قرب من بلادنا، فخرج عليهما بعض قطاع الطرق من تلك الأرض، وفيهم عساكر من عند صاحب "قيساريه" فأخذوا جميع ما في المركبين من التحف والأموال والذخائر والثلاث خرزات وقتلوا الرجال..⁽²⁾.

¹ - ألف ليلة وليلة، ج3، الليلة الثامنة عشر بعد المائة الثالثة، حكاية علي شار وزمرد، دار الكتاب الحديث، ص31.
² - ألف ليلة وليلة، ج1، الليلة السادسة والخمسون، حكاية "عمر النعمان" وولدية الزمان وضوء المكان، دار الكتاب الحديث، ص199.

لقد ملأ فولتير قالب قصة "القدر" بحوادث كثيرة لأنه نهل من حكايات ألف ليلة وليلة وبطبيعة الحال جاء ذكر ظاهرة السرقة وتعدى قطاع الطرق على المسافرين والقوافل والسطو على الممتلكات وهذا يجسد تأثره العميق بالقصص الشهرزادية.

د/ المرأة الشرقية:

بيدوا أن فولتير تأثر إلى حد ما بتلك "الصور التي عرضتها" ألف ليلة وليلة" عن المرأة الشرقية والتي ركزت على مكرها وخبثها "فقصته" زديج والقدر" مشحونة بالجرائم التي كانت ترتكبها هذه المرأة من أجل تحقيق أهدافها. لقد تعرّف زديج على نساء عديدات وكان دائماً يشك في قدرتهن على الوفاء، عشق سميرة وتعلق بها تعلقاً ولكنها سرعان ما تخلت عنه وتزوجت عدوه أورخان... واقترن بأزورة وأحبّها حبّاً عظيماً غير أنها لم تتردد في قطع أنفه إرضاء لرغبة عشيقها كادور.

ولما اختير وزيراً أصبحت النساء الجميلات يقدمن إليه من كل جهة ويلحجن عليه بالإغراء، أمّا المرأة الأولى فاسمها (مسوق) التقى بها وهو يتجه نحو الحدود المصرية حزينا ويأساً من تفاهة الشر، فخلصها من يد عشيقها الذي كان يضربها فقتله إلا أن هذه الأخيرة، أصبحت عدواً لدوداً تلغنه وتود قتله⁽¹⁾.

¹ - ينظر: القدر، فولتير، نقلها إلى العربية طه حسين، دار العلم للملايين، ص 57 - 58.

والمرأة الثانية اسمها (ألمونا) "فهي حسناء من جزيرة العرب، سيدة فاتنة أنقذها زدبج هي الأخرى من الموت فأرادت هذه الأخيرة أن تحرق نفسها بالحطب على جسد زوجها الذي توفي، وهذا الأمر أغضب الكهنة، فحكموا عليه بالموت غير أن (ألمونا) قررت إنقاذه رداً للجميل. فمكرت بالكاهن واحداً واحداً وأطعمتهم في نفسها وهي تتقاضى على ذلك براءة زدبج فلما ظفرت البراءة منهم منفردين ضربت لهم جميعاً موعداً واحداً فذهبوا إليه ولكنهم التقوا جميعاً عندها وعادوا بالخزي والعار ونجا زدبج من الموت المحتوم⁽¹⁾".

ويبدو أن فولتير في قصة (ألمونا) متأثراً بحكاية المرأة التي خلصت عاشقها وهما هارين بعدما شحنت الملك وأرباب دولته الواردة في حكاية ألف ليلة وليلة وهي تروي قصة الجارية التي راحت تستخلص حبيبها من السجن فضربت مع الوالي ثم القاضي ثم الوزير وضحكت على الجميع لأنهم أحبوا وأعلنوا إليها حبهم متلعثمين وخلصت هي وحبيبها من السجن وفرت برفقته إلى مكان آخر. ويشابهه في حادثة قطع الأنف الليالي في حوادث كثيرة من هذا النوع، فأزورا زوجة زدبج أرادت قطع أنفه وجارية "زبيدة" قطعت إبهام زوجها عقاباً له" وصاحت على الجوّاري فكتفوني، وأخذت موساً ماضياً، وقطعت إبهاماً من يدي وإبهاماً من رجلي⁽²⁾. ولا شك أنّ فولتير إستقى هذه الحادثة من ألف ليلة وليلة

¹ ينظر: القدر، طه حسين، الموعد، ص 77-78-79.

ينظر: ألف ليلة وليلة، المجلد الثالث، ط سعيد علي الخصوصي، ص 159-160.

² - ألف ليلة وليلة، ج 1، الليلة التاسعة والعشرون، حكاية الزير باحة وجارية زبيدة، ص 117.

الفصل الثاني: أثر ألف ليلة وليلة في الغرن "فولتير و غوته" نموذجاً

فقد تكررت ظاهرة قطع أجزاء من الجسم عدّة مرّات فيها "قالت: جرّوا الجبل فجرتاه، فصرت من شدة الألم في دنيا غير هذه الدنيا، ثم رفعت يدها وقطعت ذكرى بموس...⁽¹⁾.

ومن هذه المشاهد التي تلعبها المرأة نستشف أنها تحاول جاهدة تحقيق رغباتها، وأن أصرت على شيء حصلت عليه، وإن هام قلبها بحب رجل ملكته، فإنّ حلول غدرها وخيانتها أو الابتعاد عنها لاقى منها الويلات مثلما جاء في حكاية عزيز وابنة عمه التي سبق ذكرها، وهي تسعى بذلك لراحة عشيقها وكسب ودّه ورضاه وهذا ما حدث مع صادق وازورة.

وهكذا أراد فولتير أن ينسج قصة "زدبج" على نمط الليالي فأدخل في أحداث قصته المرأة "لأنها تمثل عنصراً مهماً في الأدب الشرقي وحكاية القدر" حكاية شرقية عرض فيها فولتير ما تعرض له من استغلال جسدي، أو ما تدبره من مكائد، لكنه لم يعتمد بذلك لتحليل نفسياتها، إنما أراد إبراز جانب مهم، بتوظيفه لها وهو إبراز الوجه الحقيقي لرجال الكنيسة الذين تركوا واجباتهم ويعيشون في المجتمع مستغلين الطبقة الفقيرة.

وخلاصة القول إنّ مغزى "زدبج أو القدر" وجوّها لا يختلفان كثيراً عما نجده في الليالي من مغاز وأجواء: الوفاء- الصدق- الرضا بالقدر- القناعة- الصبر- الشهامة حتى بطلها

¹ - ألف ليلة وليلة، ج2، الليلة الثانية والعشرون بعد المائة، حكاية عزيز وابنة عمه عزيزة، ص34.

الفصل الثاني: أثر ألف ليلة وليلة في القرن "فولتير و غوته" نموذجاً

وعلى غرار أبطال الليالي يكفأ في نهاية المطاف بما يلائم وفاءه وذكاءه وشجاعته فيصبح ملكاً على بابل ويتزوج حبيبته. يمكن القول أن فولتير تأثر بألف ليلة وليلة في أهم قصصه الفلسفية استلهم منها مضامينها الإنسانية الغزيرة وأساليبها الفنية المتنوعة. ونماذجها البشرية رسم أبطاله في ضوء شخوصها واعتمد عليها أكثر من مرة لإسناد نقده السياسي- الاجتماعي أو لإضافة شيء من الخيال الرقيق إلى كتاباته الفنية .

ومن الواضح أن "ألف ليلة وليلة" التي دخلت إلى فرنسا على يد جالان قد خدمت الفن القصصي الفرنسي كما وكيفا وعملت على إثرائه وتطويره بعد أن كان سطحياً لا يكاد يقوم على ساقيه. ويشهد العديد من الباحثين أن نطاق القصة الفرنسية الضيق ما فتئ أن اتسع في النصف الأول من القرن الثامن عشر- وخصوصاً بعد ظهور ترجمة جالان في الأسواق، وما كان لفولتير إلا بفضل اطلاعه على العالم الشرقي المثير الذي صورته الليالي الذي أعطاه أساليب وأنواع فنية عديدة أخرج بها الأدب من إطاره الضيق الذي حصرت فيه حدود الكلاسيكية، فراحت قصصه وبخاصة قصة "زدبج القدر" في الملتقيات الأدبية.

(2-4) تأثير ألف ليلة وليلة في الأدب الألماني:

كان كتاب ألف ليلة وليلة أحد الأركان الأساسية في الأدب العالمي وكان يحتل موقعا مهما في الحياة الفكرية لتلك الحقبة الزمنية" كما أشاد "ليشتبرغ" بالعقل السليم الذي كتب به هذا العمل الأدبي، كما أشاد "سنتدال" بالتقاليد النبيلة التي يشير بها، أما "جان باول"

الفصل الثاني: أثر ألف ليلة وليلة في الغرب "فولتير و غوته" نموذجاً

فقد اعتبره واحدا من الأعمال المحببة لدى مونتسكيو وكذلك فإنّ "أوغست فيلهلم فونش" بوصفه أحد المفكرين القلائل الذين اطلعوا آنذاك على الأدب العربي، قد أشاد بالتأثير الأدبي للامحدود الذي حظي به كتاب ألف ليلة وليلة في الأدب الأوروبي حتى على صعيد الأوبرا"⁽¹⁾.

لابد للمرء عند التعامل مع "ألف ليلة وليلة" أن يتحدث عن جانين بارزين في مجموعة الحكايات الشرقية، فالى جانب قيمتها الأدبية الثقافية الفائقة هناك أيضا أهميتها التي لا تضاهي كمصدر لا ينضب للمادة القصصية، فلقد عرّف المستشرق الدانماركي "ج. أوستروب" في مقدمة دراساته في ألف ليلة وليلة هذه الأهمية المزدوجة الجانب على النحو التالي: "فيما عدا الكتاب المقدس لا توجد سوى كتب قليلة حققت انتشارا واسعا وطافت العالم بأرجائه مثل مجموعة الحكايات العربية الشهيرة والتي عرفت بألف ليلة وليلة، فمن جهة أولى إكتسبت أهمية مباشرة لأنه لا يكاد يوجد في معظم البلدان المتحضرة من لم يقرأ هذا الكتاب بمرور واهتمام مرّة واحدة على الأقل في حكايته ومن جهة ثانية اكتسبت أهمية غير مباشرة لأن أجيالا متعاقبة من الأدباء كانت تهل مادتها من هذا النبع الذي لا ينضب"⁽²⁾.

¹ - غوته وألف ليلة وليلة، كاترينا مومزن، ص 03.

² - المرجع نفسه، ص 04.

فلا بد أن يكون لتاريخ تأثير هذا العمل الأدبي على الآداب العالمية الأخرى حقلاً هاماً من حقول البحث التاريخي الأدبي وذلك بما يمتاز به من غنى لا محدود بالمواد والأفكار والشخصيات وصيغ السرد القصصي-، "فلقد أعطى "فيكتور شوفان" فكرة واضحة عن اتساع الحقل الذي يظهر أمام الباحث في هذا المجال وذلك في كتابه الرائع والهام *Bibliographie des ouvrages arabes ou relatif aux arabes publiés l' Europe.* والذي نشر اعتباراً في لياج ولقد خصص الجزء الرابع والخامس والسادس والسابع برمتها لكتاب "ألف ليلة وليلة"⁽¹⁾.

أما فيما يخص الأدب الألماني فيذكر "شوفان" إن كتاب ألف ليلة وليلة ترك أثره على فيلاند -بورغر- كلينغر- هوفمان- روكرت- ايتمان- هاوف- بلاتن- علييارتسر- كاميسو"⁽²⁾. وإلى جانب هؤلاء كلهم نجد شاعر ألماني كبير ويعتبر في طليعة الغربيين اللذين اهتموا بحكايات ألف ليلة وذلك خلال إصدار "كتاب الساقى" و"كتاب الشرق" وكتاب المغنى "إنه صديق العرب" غوته.

4-2-1) اللقاء الأول لألف ليلة وليلة:

يعد غوته (1749-1832) Goethe مثلاً مشرفاً على خصب التفاعل بين الآداب والثقافات المختلفة، فلقد نظر إلى الآداب العالمية وكأنها أدب واحد. واستند نظريته هذه إلى نزعتة الإنسانية التي ترفعت عن كل انتماء ضيق، عرقياً كان أو جغرافياً أو دينياً، وقادة

¹ - غوته وألف ليلة وليلة، كاترينا مومزن، ص 04.

² - المرجع نفسه، ص 05.

شغفه بالمعرفة إلى محاولة الاطلاع على كل ما كان معروفا في عصره ومن ذلك آداب الشرق وبخاصة الأدب العربي.

أما قصته مع الليالي التي كان شغوفاً بها لقد قرأ ترجمة انطوان حالان (1946-1715) لألف ليلة وليلة كما قرأ الترجمات الألمانية لها وكان طول حياته شديد الوله بأحاديث شهرزاد.

"كان أول لقاء بين غوته وشهرزاد في الفترة التي كانت والدته وجدته تثيران خيال الطفل غوته بكثير من الحكايات، من قصص الأطفال أمثال "الأم أوزة" للمؤلف "يرو" وقصص الجنيات وخاصة ما كان منها من أصل فرنسي- وأخيراً كتب الحكايات الشعبية الألمانية⁽¹⁾.

يقول غوته: "كانت جدتي تقص على حكاية جبل المغنطسي حيث كانت السفن التي تقترب منه تفقد كل ما فيها من حديد وتتطاير مساميرها باتجاه الجبل بينما كان البحارة يغرقون بين ألواح الأخشاب المتفككة"⁽²⁾. وهذه الحكاية مأخوذة من ترجمة جالان لألف ليلة وليلة وهي موجودة مع تطابق التفاصيل في حكاية "القلندر الثالث ابن مالك". اعتقد الوالدة أنها ساهمت بنصيبها في إغناء موهبة غوته القصصية، " فلقد ذكرت مرّة أنها لم تكن

¹ - ينظر: المرجع السابق، ص 18.

² - طبعة جالان، الجزء (1)، ص 341.

تمل من سرد الحكايات مثلما لم يكن هو يميل من الإستماع، ولم يكن أحداً أشد لهفة منها لحلول ساعة سرد القصص أمام الأطفال تقول أنها كانت في غاية التلهف لمتابعة سرد الحكايات الصغيرة، وكنت أمقت دائماً الدعوات التي كانت تحرمني من هذه الأمسيات، وعندما كنت أجلس أمامه كان يبدو وكأنه يبتلعني بعينه السوداويين الواسعتين، وعندما كان الحظ يعاكس أحد الأبطال القصة المحبين إلى نفسه، كنت أرى عروق الدم تنتفخ في جبينه وهو يغالب الدموع، وفي بعض الأحيان كان يتدخل في سير القصة ويقول قيل أن أغير مجرى الأحداث أليس كذلك يا والدتي لن تتزوج الأميرة الخياط اللعين حتى ولو قبل العملاق.⁽¹⁾

لقد انطبع أسلوب شهرزاد في سرد الحكايات على حلقات كما كانت تطبعه والدته أيضاً في نفس غوته بحيث انه ارتبط في تصوره بهذا الجنس الأدبي ارتباطاً وثيقاً لذلك تركز اهتمام غوته في حكاياته على أمه التي كانت بالنسبة إليه المثل الأعلى الذي علمه تجديد الحكايات المعروفة وتأليف حكايات خاصة بها وإدخال إضافات جديدة أثناء السرد.

وتقول كاترينا مومزن في كتابها " غوته والعالم العربي ": " إذ تعرف من خلال والدته وجدته في أيام طفولته المبكرة على بعض هذه الحكايات ولم تمح من ذاكرته أبداً. وحتى في سنين حياته اللاحقة لم يخمد ميله نحو هذا السفر الأدبي الذي هو ملك العالم العربي لا من

¹ - غوته وألف ليلة وليلة، كاترينا مومزن، ترجمة أحمد المحمو، ص 22.

الفصل الثاني: أثر ألف ليلة وليلة في الغرن "فولتير و غوته" نموذجاً

حيث اللغة فحسب، بل من حيث المحتوى أيضاً، إذ أن الكثير من أجزاءه، على اقل تقرير، مستقى من مصادر عربية.⁽¹⁾ إن أفضل ما ورثه غوته عن أمه هو شخصيتها الشهرزادية وحبها المبدع لسرد الحكايات .

وهكذا أبدى اهتمام غوته ب " ألف ليلة وليلة" منذ طفولته فانتشر على مجمل أعماله ونحّص بالذكر الأقاليم والروايات التي كانت تحمل تأثيرات الأدب المشرقي أكثر من غيرها كما أثبتت ذلك "كاترينا مومزن" "kathrina moumsen" السجية الشهرزادية لغوته، حسب العبارة التي أطلقتها الباحثة على الموهبة التي يتمتع بها في ابتكار وتطوير الأقاليم على طريقة شهرزاد، هي العنصر الجهوي إن لم نقل المحدد في ذلك الطابع المدهش والحديث الذي مازالت تحتفظ به نصوص غوته إلى اليوم.⁽²⁾

4-2-3) أثر ألف ليلة وليلة في غوته:

لقد استدعى غوته، في الكثير من أشعاره، شهرزاد وعبر على لسانها عن بواعث معيّنة، وألبسها أدواراً وأفعالاً مختلفة. وفضلاً عن هذا ساعدت هذه الحكايات الشعبية العربية غوته، في شيخوخته، على التغلب على ما كان يرافق ليالي الطويلة والمرض من كآبة

¹ - غوته والعالم العربي، كاترينا مومزن، ترجمة عدنان عباس علي، 1995، ص 18.

² - تمثل الآخر في الأدب الأوروبي الحديث، مقارنة لأليات التفاعل النصية، حبيب بُوهرور، مجلة الأدب، البصرة، ص 7.

« ولقد كانت الدهشة من مداومة قراءة غوته للمجلدات العديدة لكتاب ألف ليلة وليلة وعمق هذه القراءة تعلقو محيا المحيطين به»⁽¹⁾.

لقد كان غوته يقارن نفسه، بوصفه شاعرا وروائيا، بشهرزاد، " وكان يقوم بهذا بوعي تام وبصورة مستمرة وتكشف هذه المقارنة عن جوانب شاعريته التي كانت تبدو لدارسيه والمعجبين به غاية في التعقيد ... ولقد حار الدارسون لأدبه في تفسير البناء الذي كانت تقوم عليه رواية « سنوات التجوال فلهم ما يستر». اذ كان هذا البناء ينطوي على حرية في التركيب ... ولهذا راح البعض يتطلع الى احتمال العثور على بناء موحد خفي غير أن هذه التطلعات لا طائل منها، نظرا لاعتراف غوته نفسه بأنه كان ينهج نهج شهرزاد»⁽²⁾.

ونلمس تأثر غوته بالليالي في رسائله ونقرا ذلك في الرسالة الأولى الموجهة إلى " فريدرك بريون " بتاريخ تشرين 1770: " إنني ألاحظ من خلال قلق داخلي معين إنني أحب أن أكون معك، وفي هذه الحالة تعني قطعة من الورق عزاء حقيقيا وحصانا مجنبا بالنسبة لي وأنا هنا وسط ستراسبورغ الصاخبة، ويمكنك أنت في هدوئك أن تتصور هذه الحالة إذا أرتك كثيرا بعد الأصدقاء"⁽³⁾ فلا بد لغوته قد فكر الحصان المسحور الذي ورد

¹ - ينظر: غوته والعالم العربي، ترجمة عدنان عباس علي، ص 19.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 19.

³ - موريس، غوته الشاب، الجزء الثاني، ص 12.

الفصل الثاني: أثر ألف ليلة وليلة في الغرن "فولتير و غوته" نموذجاً

في ألف ليلة وليلة، ذلك الحصان الهندي المسحور الذي يخرق به العشاق الأجواء بسرعة البرق.

وكتب غوته إلى صديقه "كتشن شونكوف" schnokof " في الثلاثين من ديسمبر كانون الأول عام 1868 يقول: " ارسم كثيرا الأساطير وإنني سعيد بذلك كل السعادة"⁽¹⁾ وقد قدم غوته كتابه " شعر وحقيقة " « بالأسلوب الذي انتهجه القاص العربي. وهنا يعثر المرء على كل تلك «الحيل» والأساليب الفنية التي نوهنا بها، فأجزاء «شعر وحقيقة» لم تنشر، شأنها في ذلك شأن « الرحلة الايطالية»، دفعة واحدة، وإنما قدمت للقراء على شكل مسلسلات تفصل بينها فترات زمنية متباعدة، وقد كان الشاعر شديد الولع بتسميته هذه المؤلفات «الألف ليلة وليلة العجيبة من حياتي».⁽²⁾

4-2-4) قراءة لألف ليلة وليلة في مؤلفات غوته:

في خريف عام 1888 قرأ غوته " علاء الدين والфанوس السحري " للأديب "آدم أولينشلغر" وهي عبارة عن صياغة مسرحية للحكاية المعروفة في ألف ليلة وليلة " وكان "أولينشلغر" قد قرأ في عام 1802 أمام غوته هذا العمل على شكل ترجمة مرتجلة وقد

¹ - مؤلفات غوته، الجزء الأول، ص 477.

² - غوته والعالم العربي، كاترينا مومزن، ص 20.

الفصل الثاني: أثر ألف ليلة وليلة في القرن "فولتير و غوته" نموذجاً

تصدره إهداء غوته في صيغة مقطوعة شعرية طويلة وفي 4 شباط 1808 أرسل أولينشلغر رسالة إلى غوته يطلب منه فيها أن يكتب تعليقا حول هذا العمل⁽¹⁾.

ونلمح اثر الليالي كذلك عند غوته في مسرحيته المبكرة « نزوة العاشق » التي كتبها وهو ابن السبع عشر سنة، كان غوته قد استعار لبطلته من إحدى قصص ألف ليلة وليلة الاسم العربي أمينة لكنه لم يأخذ الاسم فحسب، بل استعار كذلك المعالم الكلية لهذه الشخصية التي تلاحقها الغيرة. ويتطابق المغزى الذي يسود هذه المسرحية مع المغزى الذي انطوت عليه القصة الواردة في ألف ليلة وليلة، ففي كلتا الحالتين يدفع رجل جامع الغيرة للندم على شكه وسلوكه الأناني الفظ⁽²⁾.

ومما تجدر الإشارة إليه ذلك التأثير الكبير الذي تركته " ألف ليلة وليلة " في القسم الثاني من كتابه مسرحية فاوست إذ توجد هنا مشاهد كبيرة تحاكي حكايات شهرزاد. " فمن اجل تبيان الطريق الذي يوصل « فاوست » إلى « هيلينا » استخدم الشاعر الأسلوب الذي سردت به أقاصيص ألف ليلة وليلة الرائعة الطريق الطويل الموصل إلى كسب ود أميرة من الجن تعيش في عالم ناء. وفي ليلة الفالبورج الكلاسيكية « klassische walpurgisnacht .

¹ - غوته وألف ليلة وليلة، كاترينا مومزن، ص 129.

² - غوته والعالم العربي، كاترينا مومزن، ص 21.

يمر الطريق عبر بلاد الجن، وتتخلله مشاهد لقاء بالجن عديدة يرى ذلك من المواقف المشابهة... وفي الفصل الأول من القسم الثاني من فاوست يوجد كذلك الكثير من المؤثرات التي تعود أصولها إلى "ألف ليلة وليلة"، فهناك مثلاً موضوع استخراج الكنز المدفون في باطن الثري... وموضوع المناظر السرية العديدة التي رافقت تنكر الأشباح وقصة التسويلر-تيرزبتش وما جاء بها من صراع بشأن استحضر الأشباح وأوهام الحريق الكبير، وكذلك موضوع الهيمنة على البحار وما شابه ذلك، وفي نهاية الفصل الخاص بالمناظر السحرية التي رافقت تنكر الأشباح أثنى غوته على ألف ليلة وليلة وأشاد شهرزاد، وذلك على لسان القيصر- وهويثي مفيستوفليس... إذ قال في مشهد حديقة السرور البيت رقم 6031 وما بعده:

أي حظ طيب هذا الذي قادك إلى هنا، مباشرة من ألف ليلة وليلة؟

لو استطعت أن تشبه بشهرزاد في خصوبة عطاياها، لوعدتك وعداً صادقاً بأسمى الهدايا"⁽¹⁾.

وهنا يعبر غوته عن امتنانه للحكايات العربية خاصة حكايات "ألف ليلة وليلة" ولشهرزاد التي كانت سبباً في إلهامه. "أما مسرحية الأرواح ليلاً، فقد كتبها غوته في أيام

¹ - ينظر: غوته والعالم العربي، كاترينا مومزن، ص 29.

قليلة في مطلع عام 1777 وقد ارتجلها ارتجالاً كما اعترف فيما بعد لكنها خضعت إلى عدّة تعديلات، حيث قال غوته: بات موضوع "ليلا" هو معالجة نفسية تعتمد على الإستعانة الجنون من أجل شفاء الجنون"⁽¹⁾.

لقد عرف غوته موضوع مسرحية "ليلا" بأنه معالجة روحية لنفس مزقتها ضياع الحب، وشفاء من وقع فريسة الجنون بسبب ضياع الحب "موضوع ورد بمختلف الأشكال في حكايات ألف ليلة وليلة.

4-2-5) محاكاة غوته "لحكاية علي بابا والأربعين حرامي":

كتب غوته قصيدة حفار الكنز der- schatzgraber إستوحاها من حكاية علي بابا والأربعين حرامي وهي إحدى قصص ألف ليلة وليلة ويقول فيها:

أقضي أيامي الطويلة
معدّماً متعباً
أتجرع في الفقر ضيق أيامي
وأحلم في الثراء بأيام آمالي
ولم أعيأ في الألم

¹ - غوته وألف ليلة وليلة، كاترينا مومزن، ص 25.

ذهبت للبحث عن الكنز المفقود
ممنياً نفسي بالرخاء
وحفرته حتى عفر ترابه دمائي
وتجولت في كل الأصقاع
حاملاً مشاعل السرور
وكيس مملوء بعظام الأشباح
عشبا تفوح منه رائحة زكية
وبأسلوب المعلم الفهيم
بحثت عن كنزي القديم
وكان الليل حالك لاظلام
فأريت بصيص نور بعيد
وإذا بنرجمة تقرب
من بين الظلمة الحالكة
فدقت الساعة معلنة
نهاية الليل الزائلة
وفجأة قبل أن يحين الأوان

ملاً الضوء جو المكان
منبعثاً من بريق يومض بعمر الزمان
يحمّله صبي له جمال الحسان⁽¹⁾.

علي بابا والأربعين حرامي إحدى أشهر قصص وشخصيات حكاية "ألف ليلة وليلة" تدور الأحداث حول خطاب عربي بسيط يدعى علي بابا يسمع بالصدفة كلمة السر- التي تفتح باب المغارة التي يجبئ بها عصاة لصوص كنوزهم وبهذه الكلمة وهي "افتح يا سمسم" تمكّن علي بابا من الحصول على الكنوز المحبّأة في المغارة، ويصبح من الأثرياء بعدما كان فقيراً معدماً.

وهذا النص المقتبس من كتاب "ألف ليلة وليلة" يبيّن ذلك: "بلغني أيها الملك، أن اخوان يدعيان قاسم وعلي بابا عاشا قديماً في إحدى مدن فارس عندما توفي والدهما، تزوج قاسم بابا من ابنة تاجر ثري وعندما توفي هذا التاجر ورث قاسم أمواله، وتزوج علي من امرأة تدعى مرجانة، وكانت فقيرة للغاية لكنها ماهرة جداً في الوقت نفسه، وكسب علي بابا قوت يومه من جمع الأخشاب في الغابة، وفي أحد الأيام بينما كان علي بابا يحمل أخشابه ليأخذها إلى المدينة سمع حوافر خيول، ورأى أربعين فارساً يقتربون، أفزع مشهد الرجال

¹ - ينظر: مقالة لشريف حامد فهمي من كتاب "غوته والإسلام"، مكتبة دار الشرق الدولية، عام 2004.

الفصل الثاني: أثر ألف ليلة وليلة في الغرب "فولتير و غوته" نموذجاً

علي بابا... رأى علي بابا أن خيولهم كانت محملة بالثروات، وتوجهوا بخيولهم إلى واجهة صخرة كبيرة وصاح قائدهم "افتح يا سمسم"⁽¹⁾.

هكذا نرى أن الفقر ورد في قصيدة غوته "حفار الكنز" كما في قصة علي بابا الموجودة في "ألف ليلة وليلة" وكلاهما كسب قوت يومهما بالكد والجد، وفي النهاية أصبحا من الأثرياء. وما عسانا في الأخير إلا أن نقول أنه علينا نحن العرب- أن نقرأ تراثنا كما قرأه غوته وتلقاه، وأن نتفاعل مع الآخر كما تفاعل هو معه.

وصفوة القول: إن الصلة بين الليالي والقصة الأوروبية، في القرون الوسطى وعصر النهضة هي صلة وثيقة الوشائج ومما لاشك فيه أن تفرساً متأنياً في هذا القصص الأوروبي المتأثر، من أجل وضعه في موضعه التاريخي في نشأة القصة الأوروبية، لِيُنَبِّئَ بأن القصة الغربية ما كانت تقوم وتتطور لولا ذلك التفاعل الهائل بالثقافة العربية الإسلامية، دون أن ننسى تأثير ألف ليلة وليلة الذي سيظل ممتداً لأعوام طويلة، ويكفينا قول الكاتب الأرجنتيني "لويس بورخيس": (تتملكنا رغبة في التيه في ألف ليلة وليلة ونعرف انه بدخولنا في هذا الكتاب يمكننا أن ننسى قدرنا الإنساني في البائس).

¹ - ألف ليلة وليلة، قصص من التراث، ترجمة أميرة علي عبد الصادق، الليلة الرابعة والثلاثون، الفصل التاسع، القاهرة، ط1، 2012م، ص 66.



الخاتمة:

ليست الخاتمة لفكرة بحث، ولكنها نتائج لفكرة معينة شغلت بال البحث وتوضحت أهميتها وصداها بعد البحث والدراسة والتحليل، وعليه إن النتائج المتوصل إليها هي:

✓ إن الحضارة العربية كانت أصيلة في نقلها مستمدة من القرآن والسنة النبوية الشريفة، فنفضوا الغبار على التراث اليوناني وحافظوا عليه من الضياع بالترجمة والموضوعية أثناء نقلهم واتسامهم بما يعرف بالأمانة العلمية وهذا ما فقده الغربيون.

✓ الحضارة العربية تفاعلت مع حضارات الأمم الأخرى في شتى المجالات، وأخذت من تلك الحضارات وأثرت فيها وتأثرت.

✓ شمول الحضارة الإسلامية جعلها حضارة الأرض والإنسان، فهي حضارة مصانة بالعقيدة الإسلامية والفكر الإسلامي.

✓ لا يوجد مؤلف أدبي شعبي كانت له الحظوة الكبيرة في التأثير على الآداب عبر العالم ككل مثلما كانت لـ"ألف ليلة وليلة"، ولسنا نبالغ إذا قلنا إنه كتاب فذ وتراث شعبي دخل قلوب الخاصة والعامة لبساطة أسلوبه ورشاقة قصصه.

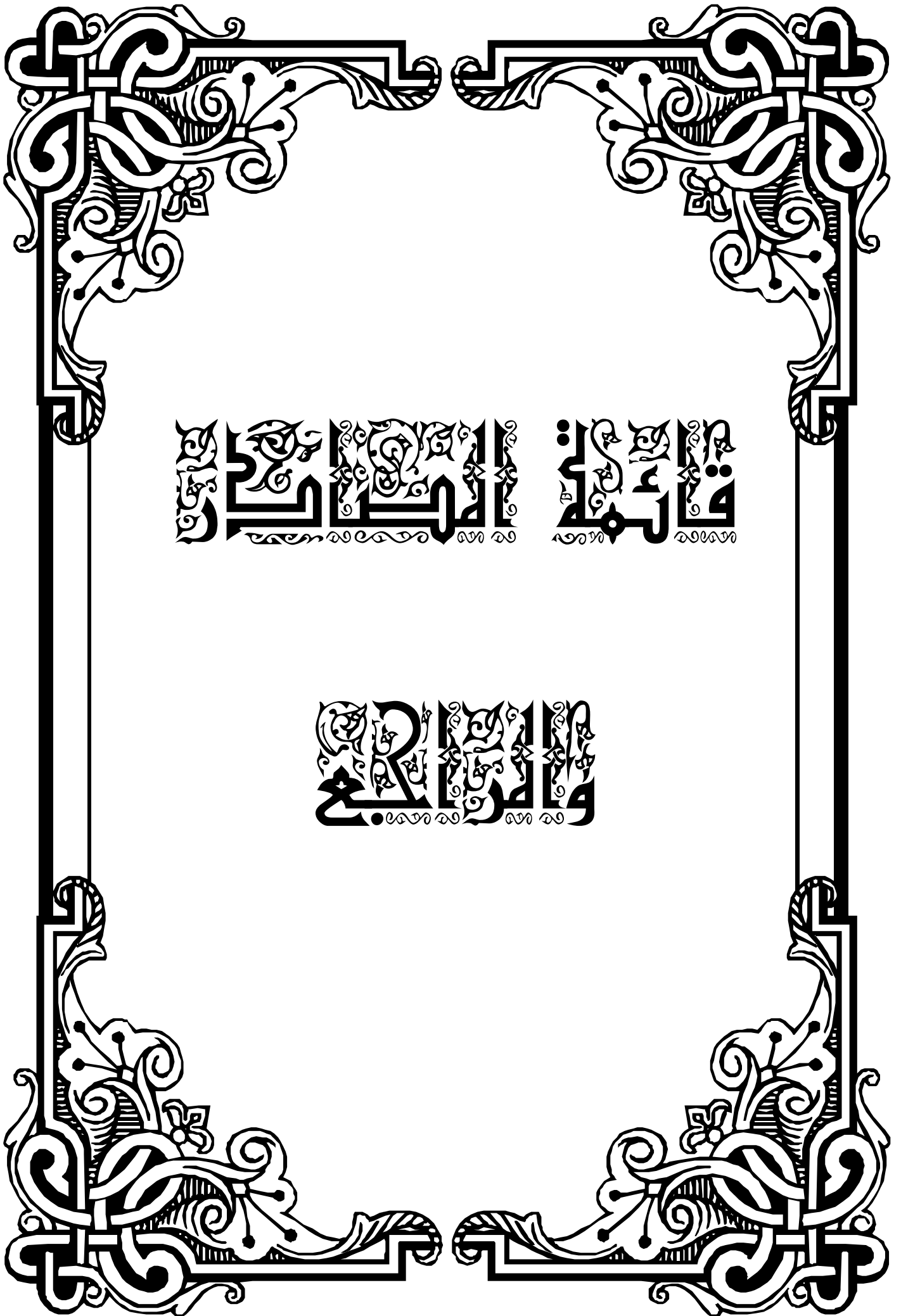
✓ لقد وجدت حكايات شهرزاد أرضا وشعبا متعطشا للحرية، حيث كانت ملاذهم الوحيد الذي عثروا فيه على الحياة الفضلى والمنظمة، فلا حواجز عنصرية أو عقد نفسية أو غير ذلك.

✓ لقد رأى "فولتير" والشعب الفرنسي من بؤس المدينة الصناعية والتألم من طغيان الحكم الاقطاعي والأنظمة الكلاسيكية الجائرة، رأى في الشرق صورته المغايرة، وعالمه المثالي الذي يتمتع فيه بالحرية ويكسب فيه الرغبات والأحلام.

✓ لقد كشفت الليالي عن تذوق جمالي وحس شاعري، وسحر شرقي، لم يعهده العالم آنذاك، ليمتد تأثيرها إلى قرون تالية وحتى عصرنا الحالي.

✓ أثرت ألف ليلة وليلة على الألمانى غوته، حيث اعترف بنفسه بتأثير شهرزاد عليه والتي كانت سببا في إلهامه.

وأخيرا، نتمنى أن نكون قد وفقنا في هذا البحث، ونكون قد اجتهدنا في دراسة هذه الحكايات من الناحية التطبيقية ونخص بالذكر الجانب الخاص بالغرب، فإن أصبنا التوفيق، فهو من الله، وإن أخطأنا فهو منا.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَنْ كَانَ فِي حَرْبٍ مَعَهُ نَسْرَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلْيُجَاهِدْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

وَمَا لَكُمْ لِمَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ دُونِهِ أَنْ لَا تُجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

قائمة المصادر والمراجع

◆ القرآن الكريم – رواية ورش

أ) قائمة المصادر:

- (1) أثر العرب في الحضارة الأوروبية، عباس محمود العقاد، دار النهضة، مصر، الطبعة الثانية، 1998.
- (2) آفاق جزائرية، مالك بن نبي، مكتبة عمار، القاهرة، دون طبعة، 1971.
- (3) ألف ليلة وليلة بأجزائه الثلاث، دار الكتاب الحديث، لبنان، دون طبعة، 1432هـ – 2011م.
- (4) ألف ليلة وليلة، المجلد والثاني، صاحب المطبعة سعيد علي الخصيوصي.
- (5) تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، دار النهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة.
- (6) الفهرست، ابن النديم، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، 1997.
- (7) القدر، فولتير، نقلها إلى العربية د. طه حسين، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، 1965.
- (8) مروح الذهب، المسعودي، دار الأندلس، بيروت، الجزء الثاني، دون طبعة، 1973.
- (9) المقدمة، عبد الرحمن بن خلدون، ج1، ف3، الدار البيضاء، تحقيق عبد السلام الشدادي، الطبعة الأولى، 2005.
- (10) الوسيط في الحضارة الإسلامية، عماد الدين خليل، د. فايز الربيع، دار الحامد للنشر والتوزيع، دون طبعة، 2004.

ب) المراجع العربية:

- (11) الإسلام والحضارة الإنسانية، د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني – بيروت، دون طبعة، 1982.
- (12) أسس الحضارة العربية الإسلامية ومعالمها، حسن جبر، دار الكتاب الحديث، الطبعة الثانية، 1999م.
- (13) أجمل قصص ألف ليلة وليلة، بلغة عصرية، مأمون غريب، مركز الكتاب للنشر، الطبعة الأولى، 1420هـ-2000م.
- (14) أصالة الحضارة العربية، د. ناجي معروف، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1395هـ – 1975م.
- (15) ألف ليلة وليلة، تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية جمال بغداد، عبد المالك مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دون طبعة، 1993م.
- (16) ألف ليلة وليلة، قصص من التراث، ترجمة أميرة علي عبد الصادق، الليلة الرابعة والثلاثون، الفصل التابع، القاهرة، الطبعة الأولى، 2012م.
- (17) الأندلس، محاضرات في التاريخ والحضارة، د. هادي عباس، منشورات ألجا، فاليتا، دون طبعة، 1988م.
- (18) تاريخ الحضارة الإسلامية، محمد عبد القادر، خرسان، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، الأردن، الطبعة الأولى، 2000م.
- (19) تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، عبد الرحمن حسين الغزاوي، دار الخليج، عمان الأردن، الطبعة الأولى، 1432هـ – 2011م.
- (20) تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، فخري خليل النجار، دار الصفاء، عمان، الطبعة الأولى، 2009 – 2010م.

- (21) تاريخ الحضارة العربية، محمد الخطيب، دار علاء الدين للنشر، سورية، الطبعة الأولى، 2007م.
- (22) جستاف لانسون، فولتير، ترجمة محمد غنيمي هلال، القاهرة، الأطلس.
- (23) الحضارة الإسلامية وآثارها على المدينة الغربية، أ. موسى عبد اللاوي، دار العلوم للنشر والتوزيع، دون طبعة، دون تاريخ.
- (24) حضارة العرب في صدر الإسلام، حسين الحاج حسن، مجد المؤسسة الجامعية، بيروت، الطبعة الثانية، 1426هـ - 2006م.
- (25) الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، شوقي خليل، دار الفكر العربي، سورية، الطبعة الأولى، 1994م.
- (26) الحضارة العربية الإسلامية، د. الربيعي بن سلامة، منشورات جامعية، منتوري، قسنطينة، دون طبعة، 2004 - 2005م.
- (27) الحضارة العربية الإسلامية، د. سلامة صالح النعيمات وآخرون، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، دون طبعة، 2008 - 2009م.
- (28) حضارة ونظم أوروبا في العصور الوسطى، سعيد عبد الفتاح عاشور، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 1976م.
- (29) شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكة، نقله عن الألماني فاروق بيضون، كمال دسوقي، دار الجيل بيروت دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثامنة، 1413هـ - 1993م.
- (30) طبعة جالات، الجزء الأول، 1993م.
- (31) عيون الأبناء في طبقات الأطباء، ابن أبي صبيعة، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، تحقيق: نزار رضا، دون طبعة، دون تاريخ.

- (32) غوته والعالم العربي، كاترينا مومزن، ترجمة عدنان عباس علي.
- (33) غوته وألف ليلة وليلة، كاترينا مومزن، ترجمة أحمد المحو، دمشق، 1980م.
- (34) في الحضارة الإسلامية، الربيعي بن سلامة، منشورات جامعية، منتوري، قسنطينة، دون طبعة، 2004 – 2005م.
- (35) في تراثنا العربي الإسلامي، توفيق طويل، عالم المعرفة، الكويت، ط1، 1985م.
- (36) قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة: محمد بدران، دار الجيل، لبنان، الجزء الثامن، دون تاريخ.
- (37) مؤلفات غوته، الجزء الأول.
- (38) المعجزة القرآنية، بلقاسم بغدادي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دون طبعة، دون تاريخ.
- (39) مقومات الحضارة الإنسانية في الإسلام، حسن رمضان فحلة، دار الهدى، الجزائر، الطبعة الأولى، 1410هـ – 1989م.
- (40) موريس، غوته الشاب، الجزء الثاني.
- (41) موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية، دار الفكر الإسلامي، مجموعة من المؤلفين، القاهرة، 2008م.
- (42) موسوعة الحضارات القديمة والحديثة وتاريخ الأمم، محمود شاكر، دار أسامة للنشر والتوزيع، الجزء الأول، الطبعة الأولى.
- (43) نظم الحضارة العربية الإسلامية، إبراهيم علي السيد القلا، دار العلم، والإيمان للنشر، دون طبعة، 2007م.

ج) المراجع الفرنسية:

- (44) Jacques van, denheuvel, voltaire dans ses contes, paris, a colen, 1967.
- (45) Pomeau la religion voltaire. Paris, nivet, 1969.
- (46) Voltaire, dictionnaire philosophique/ imagination.
- (47) Zadig ou la destinée, voltaire candide et cyrano.

د) المذكرات والمجلات:

- (48) الاعترا ب في حكايات " ألف ليلة و ليلة " الأستاذ شريف موسى عبد القادر، مذكرة ماجستير في الأدب الشعبي، تلمسان (1996-1997).
- (49) ألف ليلة و ليلة " في الترجمة الفرنسية، فيدوح يمينه، مذكرة ماجستير، كلية الأدب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الثقافة الشعبية، 2001م.
- (50) تجليات العجيب في حكايات "ألف ليلة و ليلة" ليلي حوماني، مذكرة ماجستير في الأدب الشعبي، تلمسان، 2003-2004م.
- (51) تمثل الآخر في الأدب الأوروبي الحديث، مقارنة لآليات التفاعل النصية، حبيب بُوهرور، مجلة الأدب، البصرة.
- (52) العربي مجلة شهرية ثقافية عرب، وزارة الإعلام، الكويت، العدد 632، يوليو 2011م.
- (53) مقالة لشريف حامد فهمي من كتاب "غوته والإسلام" مكتبة دار الشرق الدولية، عام 2004م.

(و) شبكة المعلومات:

(54) wikipedia الموسوعة الحرة، www.wikipedia.org.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فهرست الموضوعات

| | |
|----|---|
| ب |مقدمة |
| 2 |المدخل: مفهوم الحضارة |
| 09 |الفصل الأول: الحضارة العربية الإسلامية وتأثر الغرب بأدبها |
| 09 |(1) الحضارة العربية الإسلامية |
| 09 |(1-1) الحضارة العربية قبل الإسلام |
| 16 |(2-1) مصادر الحضارة العربية الإسلامية |
| 24 |(3-1) مميزات الحضارة العربية الإسلامية |
| 32 |(2) دور الحضارة العربية الإسلامية في الحضارة الأوروبية |
| 33 |(1-2) طرق وسبل انتقال الحضارة العربية إلى أوروبا |
| 36 |(2-2) شهادات الغربيين بفضل الحضارة العربية الإسلامية |
| 39 |(3-2) أثر الأدب العربي الإسلامي في الأدب الأوروبي |
| 44 |الفصل الثاني: أثر ألف ليلة وليلة في الغرب " فولتير وغوته " نموذجاً |
| 45 |(1) التعريف بكتاب " ألف ليلة وليلة " |
| 48 |(2) أصل كتاب " ألف ليلة وليلة " |
| 58 |(3) السرّ في خلود هذا الكتاب |
| 56 |(4) أثر ألف ليلة وليلة في الغرب |
| 58 |(1-4) تأثير ألف ليلة وليلة في الأدب الفرنسي |
| 70 |(2-4) تأثير ألف ليلة وليلة في الأدب الألماني |
| 85 |الخاتمة |
| 88 |قائمة المصادر والمراجع |
| 95 |الفهرس |